مكتبتنا العربية

مجلة الأزهر

السنة الاولى

٩٣

المجلد الحادى والعشرون

مدير المجلة
ورئيس تحريرها
محمد فريد وجدى بك

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الاشتراك السنوى { ٤٠ لمصر والسودان
٥٠ لخارج القطر المصرى

ثمن العدد ٤٠ مليما

ادارة المجلة بديوان الإدارة العامة للأزهر والمعاهد الدينية بالقاهرة

مطبعة الأزهر
١٩٤٩

مكتبتنا العربية

ربيع الأول سنة ١٣٦٩ المجلد الحادي والعشرون

مجلة الأزهر

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تصدر شهريا عن مشيخة الجامع الأزهر الشريف

مكتبتنا العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

أحاديث الأستاذ الأكبر

مع السفراء والمفوضين السياسيين

استقبل حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوى شيخ الجامع الأزهر ظهر اليوم (١٩٤٩/٩/٢١) وزير يوغوسلافيا المفوض الجديد ، ومعه شيخ علماء يوغوسلافيا ، ووفد من العلماء : وقد رحب بهم الأستاذ الأكبر وتمنى لهم طيب الإقامة ، وقد قدمهم لفضيلته الوزير المفوض قائلا : إنه سعيد أن يزور الجامع الأزهر العتيد ذا الصوت البعيد فى جميع أنحاء العالم ، وسعيد أن يزور شيخ الأزهر ليوطد الصلات الوثيقة بين مسلمى يوغوسلافيا ممثلين فى وفد العلماء ، وبين الأزهر الشريف . ثم قال : إن المسلمين كلهم فى يوغوسلافيا يتطلعون الى الأزهر ، لأنه مصدر العلم والثقافة الدينية .

فشكره فضيلة الأستاذ الأكبر على هذه التحيات .

وسأل الأستاذ الأكبر شيخ علماء يوغوسلافيا عن حال المسلمين هناك ، فقال شيخ العلماء : إن المسلمين بخير ، وهم يتمتعون بحقوقهم الدينية والمدنية كبقية المواطنين . ولهم مدارسهم التعليمية والدينية .

وسأل الأستاذ الأكبر عن المدارس الدينية ومستوى الثقافة فيها ، فقال شيخ العلماء : إن مدة التعليم فى المدارس ثمان سنوات ، والطلبة يدرسون فيها الفقه والأصول والحديث والبيان والبديع ، والمذهب السائد هناك هو

مكتبتنا العربية

المذهب الحنفي . . . وهناك مدارس لتعليم اللغة العربية ولكنها ما تزال في حاجة الى النهوض .

فقال الأستاذ الأكبر : إن خير ما يسره أن يعنى المسلمون بشئون دينهم ، وأن يحرصوا على تعليم أولادهم أصول الدين ، ليطبعوهم على التدين منذ نعومة أظفارهم ، وإنه يلاحظ أن مدة التعليم في المدارس الدينية قصيرة ، وهي تحتاج إلى فترة أطول ليتم نضج المتعلمين فيها ، وهو يوصي فضيلة شيخ العلماء أن يعمل على زيادة مدة الدراسة أربع سنوات أخرى : لأن هذه هي أقل مدة يمكن فيها استيعاب العلوم الدينية والعربية . فوعد شيخ العلماء بأن يعمل على تنفيذ نصيحة الأستاذ الأكبر .

وسأل فضيلة الأستاذ الأكبر عن تعداد المسلمين في يوغسلافيا ، فقال شيخ العلماء : إن عددهم يربو على المليونين .

وسأل الأستاذ الأكبر عما إذا كان في يوغوسلافيا محاكم شرعية ، فقال شيخ العلماء : كان في يوغوسلافيا محاكم شرعية تقوم بالفصل في مسائل الطلاق والزواج والمواريث الخاصة بالمسلمين ، ولكنها ألغيت أخيرا بعد تعديل نظام يوغوسلافيا .

ووجه الأستاذ الأكبر السؤال عن أسباب إلغاء المحاكم الشرعية إلى الوزير المفوض . فأجاب سعادته : إن حكومة يوغسلافيا رغبت حين عدلت دستورها أن تجعل حرية التقاضي لجميع المواطنين واحدة ، فألغت كل المحاكم الطائفية ومنها المحاكم الشرعية ، وجعلت التقاضي كله أمام محكمة الشعب الوطنية . وقد روعي احترام حقوق المسلمين ، فخصص قضاة مسلمون للنظر في مسائل الأحوال الشخصية الخاصة بهم . وحكومة يوغوسلافيا الآن حكومة وطنية لا تفرق إطلاقا في المعاملات الدينية .

فقال الأستاذ الأكبر : إنه مع احترامه لوجهة نظر الحكومة اليوغوسلافية يأسف لإلغاء المحاكم الشرعية ، ويود أن تعيد الحكومة اليوغوسلافية النظر

مكتبتنا العربية

فى أمر إلغائها . واتجه الأستاذ الأكبر إلى العلماء وقال : إنى أرجو أن تعملوا على إعادة هذه المحاكم ، وأن تختاروا لها الأكفاء من القضاة ، لتكون هذه المحاكم أنموذجا يحتذى فى تحرى الدقة والعدالة .

ثم قال الأستاذ الأكبر للوزير المفوض : لقد تحدثت إلى سلفك حين زارنى منذ عام عن تقريرات وصلتنى عن اضطهادات وقعت على المسلمين فى يوغوسلافيا ، وطلبت إليه أن يتحرى صحة هذه الوقائع ، وبودى أن أقف منك اليوم على هذه الحالة بالتفصيل ، لأطمئن على مستقبل أبنائى المسلمين فى يوغوسلافيا .

فقال الوزير : إنه يشكر الأستاذ الأكبر أن أتاح له هذه الفرصة ليتحدث بصراحة عن معاملة الحكومة اليوغوسلافية للمسلمين ، وقال : إنه يريد أن يستمع الأستاذ الأكبر لرأى علماء المسلمين أولا فى هذه المعاملة ، وها هم شهود على ما يتمتع به العلماء من معاملة طيبة . وفى صحة ما وصل إلى الأستاذ الأكبر من تقارير عن اضطهاد للمسلمين ، وقال : إن الحكومة اليوغوسلافية لا تضطهد أحدا لسبب دينى ، فحرية التدين مكفولة للجميع ، وإذا كان بعض المسلمين قد وقعت عليهم عقوبات فليس هذا مرده الى الدين ، وإنما لأنهم ارتكبوا مخالفات خطيرة ضد الدولة ، وشأنهم فى ذلك شأن غيرهم من بقية الطوائف .

وقال شيخ العلماء : إن كل ما يقال عن تعذيب المسلمين واضطهادهم لأسباب دينية هو محض افتراء ؛ فالمسلمون يتمتعون بحمد الله بكل رعاية وعناية من الحكومة اليوغوسلافية ، والحكومة تشجع الهيئات الدينية ، وتعاون على إنشاء المدارس ، وليس للمسلمين ما يشكون منه : أما ما تسامع الى الأستاذ الأكبر من عقوبات وقعت ببعض العلماء ، فسببها تآمرهم مع غيرهم على قلب نظام الحكم فى الدولة ، ومع ذلك ومع عدم رضائى عن هذا المسلك ، فقد توسطت لدى الحكومة فى تخفيف العقوبات عليهم ، وقبلت الحكومة رجائى .

فقال الأستاذ الأكبر : لقد أردت بذكر هذه التقارير التى وصلتنى أن أتبين وجه الحق فيها ، وأن أطمئن ويطمئن معى العالم الإسلامى على أن إخوانى وأبنائى

مكتبتنا العربية

المسلمين فى يوغوسلافيا ، لا يضطهدون بسبب عقائدهم الدينية ، وما دام الأمر كما ذكر شيخ العلماء وذكر سعادة الوزير ، من رعاية لشئون المسلمين وكفالة لحقوقهم ، فقد ارتحت لهذا البيان . وإنى لأرجو أن يتحقق للمسلمين فى يوغوسلافيا كل ما نرجوه لهم من تقدم . ونصيحتى لهم أن يجمعوا كلمتهم ، ويستمسكوا بدينهم ، لتتحقق لهم كل أمانيهم . ورجا الأستاذ الأكبر شيخ العلماء أن يحمل تحياته ودعواته لأبنائه المسلمين جميعا .

وقال الوزير المفوض : إنه يود أن يؤكد للأستاذ الأكبر أن المسلمين فى يوغوسلافيا أحسن حالا منهم فى أى وقت مضى ، وأن عناية الحكومة بنشر التعليم فى جنوب الصرب ومقدونيا عناية فائقة ، وأن المدارس فى البقاع الإسلامية قد نشطت وزاد عددها ، وأن الحكومة - فضلا عن هذا وتشجيعا للتعليم الدينى - تفكر فى ربط الصلات بين مسلمى يوغوسلافيا والأزهر ، وسيخرج هذا التفكير إلى حيز التنفيذ حين توفد الحكومة بعثة من أبناء المسلمين للتعلم فى الأزهر والتخصص فى العلوم الدينية والعربية ، وبذلك تكون أول بعثة تفد إلى الأزهر من يوغوسلافيا بعد الحرب ، وبهذا تتحقق الروابط الثقافية الوثيقة بيننا وبين مصر ، ويومها يرى العالم الإسلامى ويدرك أن الشائعات المغرضة التى تكثر هنا وهناك عن سوء معاملة المسلمين لا أساس لها من الصحة إطلاقا .

فقال الأستاذ الأكبر : إنى أرحب دائما بالتعاون الثقافى بين الأمم ، لأنه دعامة قوية فى تحقيق التفاهم وربط الصلات الوثيقة بين الشعوب .

ويسرنى أن يعود أبناء مسلمى يوغوسلافيا إلى رحاب الأزهر ، لينهلوا من معارفه ، ويرشدوا قومهم إذا رجعوا إليهم . وإن الأزهر بفضل التوجيه السامى لحضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فاروق الأول الذى يحرص على نشر نور العلم فى جميع الأقطار ، وعلى ربط المسلمين فى جميع بلاد العالم فى الشرق والغرب برباط وثيق من المحبة والتعاون - ليرحب بأى بعثة تفد من يوغوسلافيا لطلب العلم ، وستجد البعثة القادمة ما تجده البعوث الإسلامية جميعا من عطف الفاروق العظيم ورعايته ، مما ييسر لها أمورها ، ويعينها على طلب العلم ؛ فقد حرص

مكتبتنا العربية

جلالته أدام الله ملكه ، على أن يوفر من جيبه الخاص لأبناء البعوث الإسلامية كل وسائل العيش والإقامة . لينصرفوا مطمئنين إلى أداء رسالتهم التى وفدوا من أجلها ، وهى التزود بالعلم ، والتبحر فى الدين .

وشكر الوزير للأستاذ الأكبر هذا العطف ، وأثنى على أريحية الملك العظيم ، وقال : إننى حين تشرفت بالمثول بين يدى جلالته حدثنى حفظه الله عن اهتمامه بالتعاون الثقافى بين الأمم ، وعن رغبته فى قيام التبادل الثقافى بين مصر ويوغوسلافيا . وقد أكدت لجلالته أن يوغوسلافيا حريصة على إتمام صلاتها بمصر وعلى التعاون معها ثقافياً ، وقد أبلغت حكومتى رغبات جلالته ، وسأبلغها مقترحات الأستاذ الأكبر ، وترحيب الأزهر بالبعثات التى تفد من أبناء مسلمى يوغوسلافيا ، وأرجو فى وقت قريب أن تتخذ الترتيبات لإرسال هـــذه البعثة حتى تتحقق الصلة بين الأزهر ويوغوسلافيا .

واستطرد الحديث إلى الطلاب اليوغسلافيين الذين وفدوا إلى مصر قبل الحرب ، وطالب الأستاذ الأكبر سعادة الوزير أن يعنى بأمرهم ، وأن يوفر لهم من المساعدات ما يمكنهم من طلب العلم هادئة نفوسهم . وقال الوزير : إن أحداً من هؤلاء الطلاب لم يتقدم إليه ، ووعد بالنظر فى شأن من يتقـدم إليه منهم ، وبحث حالته .

وكرر الوزير الشكر للأستاذ الأكبر على أن أتاح لهم هذه الفرصة لزيارته ، واستأذن مع وفد العلماء منصرفين ، فودعهما الأستاذ الأكبر شاكرا راجيا لهم سفرا ميمونا إلى الأقطار الحجازية .

هذا وقد قدم الوفد إلى الأستاذ الأكبر هدية نفيسة من صناعة يوغوسلافيا هى طقم فاخر للقهوة مموه بالذهب . وقد تقبل الأستاذ الأكبر الهدية شاكراً .

مكتبتنا العربية

حديث حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر

مع مراسل وكالة الأنباء الإسلامية بمناسبة احتفال حكومة الباكستان بتأسيس أربع جمعيات ثقافية

---

١ — تحتفل حكومة الباكستان بتأسيس أربع جمعيات ثقافية لتوطيد العلاقات بينها وبين العالم العربي والإسلامي، فهل تتفضلون بتوجيه كلمة في هذه المناسبة عن شعوركم نحو هذه الجماعات، وعما توصون به لتوسيع نطاق أعمالها؟

— إن كل عمل غايته نشر الثقافة في البلاد الإسلامية والعربية، يملؤني غبطة وسروراً: إذ ما أحوجنا إلى أن ننير أذهان أبنائنا في العالم الإسلامي، وأن نوحد بين ثقافاتهم وأن نوجههم توجيهاً صالحاً يقوم على المحبة لدين الله، والإخلاص لتعاليم الإسلام: ولا ريب أن ديننا الحنيف يدعونا دائماً إلى التأمل والنظر في ملكوت الأرض والسماء، ويطالبنا بأن نتسلح بالمعرفة، وأن نتزود بالثقافة الكاملة، لنستطيع أن نواجه الحياة في قوة وعزم، ولنستعين على إدراك أسرار الكون، ومجاراة الحياة، وفهم غوامضها: ولا شك أن العمل على توحيد الثقافة في البلاد الإسلامية والعربية، عمل جليل الشأن، لأنه يقرب بين أفكار هذه الأمم، ويربطها برباط وثيق من وحدة الفكر والشعور يزيد برباط الإيمان بينهم قوة وتوثيقاً.

والعالم الإسلامي والعربي اليوم لا بد له أن يتكتل وتجتمع كلمته على أساس من المحبة الخالصة لله، ليقف قويا بإيمانه، معتزا بثقافته وتعاليمه في وجه كل تيارات العدوان التي تتناوش العالم الآن.

وإني إذ أهنىء حكومة الباكستان [illegible] هذه الخطوة المباركة في سبيل التقريب الثقافي بينها وبين الشعوب الإسلامية [illegible]، أرجو أن تظل هذه الروح جميع

مكتبتنا العربية

أبنائي وإخواني المسلمين في جميع أقطار الأرض ، لنمكن لكلمة الله ، ونحقق هدفنا الأسمى في أن نعيد للإسلام عظمته ومجده . ونصيحتي لأبناء المسلمين في الباكستان أن يقبلوا على تشجيع هذه الجمعيات الثقافية ماديا وأدبيا لتزدهر وتصبح نواة لحركة نهضة ثقافية تعم دولة الباكستان الجديدة ، وترسي لها تقاليد قويمة في خدمة العلم والمعرفة . كما أنصحهم جميعاً بالإقبال على العلم والتزود من المعارف ؛ لأن الثقافة والمعرفة في عصرنا الحديث هما أداتا التقدم والسلطان ، فإذا اجتمع لنا دين قويم وعلم صحيح ، استطعنا أن نعيد مجد الإسلام والعروبة ، وأن نجعل كلمتنا هي العليا بإذن الله . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

٢ — ما هو مدى تعاون الأزهر مع الشعوب الإسلامية ، وما مظاهره ؟

— إن الأزهر منذ نشأته هو الحلقة التي تربط الشعوب الإسلامية بعضها ببعض ؛ إذ يفد إليه طالبو العلم من المسلمين من جميع بقاع الأرض ليتزودوا من معارفه وحكمته ، ويعودوا إلى بلادهم ليرشدوا قومهم وينيروا أمامهم سبل الهداية . ولا عجب في ذلك : فالأزهر هو معقل الدراسات الإسلامية : من فقه ، وحديث ، وتفسير ، وعلوم الكلام : بل هو المعقل الذي حفظ تراث الدين واللغة من نحو ألف سنة ، برغم كل التقلبات والحوادث التي وقعت في مدى هذه السنوات . وقد ظل علماء الأزهر عاكفين على الدراسة والتأليف في جامعهم العتيق ، وتركوا للعلم والدين زادا من المعرفة لن ينفد على الأيام .

فأنت ترى معنا أن الأزهر قد أحيا علوم الدين واللغة ، ونهض بها نهضة واسعة أفاد منها المسلمون جميعا ، وتأثروا بها في ثقافتهم وتأليفهم : ولذلك فإن طابع الأزهر مميز في كل البقاع . وتلامذته الذين اغترفوا من منهله وانطبعوا بتعاليمه هم الذين يوجهون الحياة العامة في البلاد العربية والإسلامية .

للأزهر إذاً فضل جمع أبناء المسلمين في صعيد واحد بما فتح لهم من أبواب ، وما يسر لهم من أسباب تعينهم على طلب العلم ، وتمكنهم من الجلوس جنبا الى جنب ، سنوات طويلة في حلقات الدرس ، فتملأ قلوبهم بالمحبة الصادقة والتعاون الوثيق ، وتشرب نفوسهم بروح الإخاء والألفة ، حتى إذا عادوا الى بلادهم ذكروا معهدهم العتيد ، وكانوا رسل سلام وهداية وتوفيق .

مكتبتنا العربية

وللأزهر فضل توحيد الثقافة الإسلامية ومناهج دراستها ، فإن أبناءه الذين تعلموا فيه قد انبثوا فى جميع بقاع الأرض يؤدون رسالته ويعملون على نهجه ، ويذيعون آراءه وأفكاره ، وطرق بحثه ووسائل إرشاده : ومن هنا تأثرت بهم الحياة العامة فى الشعوب الإسلامية ، وقويت عن طريق جهودهم الدعوة الدينية . ويكفى لتقدير عظم هذا التأثير أن تعلم أن الأزهر ظل وحده مدى قرون طويلة ، هو حامل مشعل الهداية والثقافة فى العالم الإسلامى ، وأن كل حركات النهضة العلمية والثقافية خرجت منه وتغذت من أبنائه .

أما الأزهر الآن فقد جرى على هذه التقاليد الطيبة ، وزاد عليها فى التوسع والتنظيم للبعوث الإسلامية الوافدة إليه . وقد كان للمغفور له صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول - أسكنه الله فسيح جناته - فضل توجيه الأزهر الى هذه الناحية النافعة ، بما قدم من معونات أدبية ومادية خلدت ذكره فى نيت العاملين المصلحين ، ثم كان لحرص صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول راعى العلم والعلماء على أن يظل الأزهر مثابة الوافدين من جميع بقاع الأرض ، أكبر الأثر فى تشجيع البعوث الإسلامية على الوفود ؛ فقد تفضل جلالته فشمل هذه البعوث برعايته ، وأمر أن تكون نفقتها من جيبه الخاص . وفى الأزهر الآن نحو ألف وسبعمائة طالب من البلاد الإسلامية : من الصين والهند وأندونيسيا وجاوه وإلبانيا ويوغوسلافيا وتركيا وروسيا والمغرب وجنوب أفريقيا والشام والعراق وإيران وغيرها ، كلهم متمتعون بفضل الفاروق ورعايته ، وكلهم يدرسون ويعملون متكاتفين لخدمة العلم والدين . هذا المؤتمر الاسلامى الكبير الدائم لا شك له أثره فى التقريب بين الشعوب الإسلامية فى الفكر والشعور ، والتوحيد بينها فى الثقافة ، وربطها جميعا برباط الوحدة والمحبة فى دين الله .

وقد حرص الأزهر من ناحية أخرى - بفضل عناية جلالة الفاروق وتوجيهه - على إشاعة الثقافة الإسلامية ، بين الشعوب عامة ، فأرسل بعثات من أساتذته ومتخرجيه إلى كل البلاد العربية والإسلامية ، ليعملوا على نشر كتاب الله وسنة رسوله ، ويوجهوا الثقافة الوجهة الإسلامية الصالحة . وإنك لواجد

مكتبتنا العربية

اليوم فى كل عواصم البلاد العربية والإسلامية بعوثاً علمية نشطة نواتها أبناء الأزهر وعلماؤه ، ينشرون علم الأزهر فى الآفاق ، ويربطون بين شعوبها برباط المحبة والمعرفة .

ولم يقف جهد البعوث الأزهرية عند حدود البلاد العربية والإسلامية ، بل حرصنا على أن يكون للأزهر فضل السبق فى دعوة الشعوب التى لما يصل إليها نور الهداية الى كتاب الله وسنة رسوله . فأرسلنا البعوث الى جنوب وشرق إفريقيا للدعوة والإرشاد : ونحن بسبيل إرسال بعوث أخرى الى أنحاء متفرقة ، لتؤدى رسالتنا فى خدمة العلم والدين كاملة ، والله يوفقنا جميعاً ويهدينا سواء السبيل : «إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله» .

هذا من الناحية الثقافية والتعليمية . أما من الناحية العامة فإن الأزهر يؤيد من كل قلبه الشعوب الإسلامية والعربية فى نهضاتها ، ويساهم فى الدعوة لقضاياها والحث على معونتها ، وما موقفنا من مسألة فلسطين ببعيد ، فقد دعونا لقضيتها وجاهدنا فى سبيلها ، وجمعنا المال لمعونتها ، وما زلنا إلى اليوم نرقب حركاتها فى سبيل التحرر من قيود الاستعمار الصهيونى . والله المسئول أن يحقق آمال المسلمين والعرب فى نصرها واستقلالها ، ويعين أصحاب الجلالة ملوك العرب ، وأصحاب الفخامة رؤساء الحكومات العربية والإسلامية فى جهادهم الذى بدءوه ضد الصهيونيين ، وأن يكتب لهم النصر والتأييد .

«إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم» .

مكتبتنا العربية

صفة رسول الله في التوراة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ فكرى ياسين

أخرج البخارى عن عبد الله بن عمرو ، قال : قرأت فى التوراة صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، محمد رسول الله : عبدى ، ورسولى ، سميته المتوكل ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، بل يعفو ، ويصفح ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله » .

* * *

حفلت الكتب السماوية القديمة ، والنبوات السابقة عند أهل الكتاب بالحديث عنه صلى الله عليه وسلم ، والبشارة بنبوته ، وذكره بنعته وصفته وعلاماته ، ودعوته ، وصفة أمته ، ووقت مخرجه ، وما إلى ذلك ، وأشار القرآن الكريم إلى هذا فى طرف من آياته الشريفة ، فقال : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » ؛ وقال : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر » .

ولما حضر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بين يدى النجاشى ، وقرءوا القرآن ، وسمعه القسيسون والرهبان ، انحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق ، فذلك قول القرآن الكريم : « وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق . . . » الآيات .

ومن أجمع ما جاء فى التوراة [illegible] ه صلى الله عليه وسلم ، ما أشار إليه الحديث الذى معنا ، فقد عرض له [illegible] وصفه ، وبعض شيمه وفضائله ، وأخلاقه وشمائله ، وبيان زمن ا[illegible] وأنه لن يكون إلا بعد أن تتحقق

مكتبتنا العربية

المهمة المنوطة به ، ويكمل العمل المطلوب منه ، وهو إقامة الدين الصحيح ، وإعلاء كلمة الله ، وتخليص العقيدة الدينية مما طرأ عليها من شرك ، وخالطها من عوج ، ودخل فيها من تغيير وتبديل ، وأن هذا لا يتم إلا بوجود الاعتقاد الجازم ، وإظهار شعار الحق ، وإعلان أمارة الصدق : والنطق بكلمة التوحيد المتضمنة للإيمان به تعالى ، والتصديق بما جاء به رسوله ، مما يؤيده قوله : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قال : لا إله إلا الله فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحق ، وحسابه على الله » ، فإن هذا الحديث تقرير وتعبير عن الإجابة إلى الإيمان بالله تعالى ، والتصديق بجميع ما جاء به الرسول ، كما ورد ذلك صريحا فى الرواية الأخرى القائلة : « حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بى ، وبما جئت به » .

واختصاص عصمة المال والنفس بمن قال : لا إله إلا الله ، ظاهر فى مشركى العرب ، وأهل الأوثان ، ومن لا يوحد ، لأنهم كانوا أول من دعى إلى الإسلام ، وقوتل عليه ، أما غيرهم ممن يقر بالتوحيد كأهل الكتاب ، فإنه لا يُكتفى فى عصمته بقوله : لا إله إلا الله ، لأنه كان يقولها فى كفره ، وهى من اعتقاده ، بل لابد فيها مع هذا من الإيمان بكل ما جاء به الرسول ، كما جاء فى الحديث الآخر : « حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة » .

* * *

التوراة : هو الكتاب الذى ورثوه عن موسى ، والجمهور على أن معناه الضياء والنور ، لأن هذه اللفظة مشتقة من وَرَى الزندُ ووَرِى : إذا خرجت نارُه . وقيل : لفظة التوراة مأخوذة من التورية ، وهى التعريض بالشىء ، والكتمان لغيره ، فكان أكثر التوراة معاريض وتلويحات من غير تصريح وإيضاح ، وهذا كله إذا جرينا على تقدير أن اللفظة عربية ، أما إذا كانت عبرانية ، أو سريانية ، كما قيل بكل ، فلا معنى لهذا الاشتقاق على الحقيقة ، لأن الاشتقاق من ألفاظ أخر أعجمية مما لا مجال لإثباته .

ومحمد : هو أشهر أسمائه صلى الله عليه وسلم ، وهو اسم مفعول من حمّد فهو محمّد ، إذا كان كثير الخصال التى يحمد عليها ، وهو من المضاعف للمبالغة ،

مكتبتنا العربية

لأنه هو الذى يحمد أكثر مما يحمد غيره من البشر ، وهو الاسم الذى سمى به فى التوراة صريحاً ، على ما حققه العلامة ابن القيم فى كتابه « جلاء الأفهام » ، وبيّن فيه غلط أبى القاسم السهيلى ، حيث ذكر أن اسمه فى التوراة أحمد .

وذكر أصحاب السير والمغازى أنه لما ولد صلى الله عليه وسلم قيل لجده عبد المطلب : ما سميت ابنك ؟ فقال : محمداً ، فقيل له : كيف سميت باسم ليس لأحد من آبائك وقومك ؟ ، فقال : إنى أرجو أن يحمده أهل الأرض كلهم . وذلك لرؤيا كان قد رآها عبد المطلب فى منامه ، وعُبرت له بمولود يخرج من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ، ويحمده أهل السماء والأرض ، فلهذا سمّاه محمداً .

وقال القاضى عياض : لم يسمّ بمحمد أحد من العرب ولا غيرهم ، إلى أن شاع قبل وجوده وميلاده أن نبياً يبعث اسمه محمد ، فسمّى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو ، وهم : محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسى ومحمد بن سلمة الأنصارى ، ومحمد بن البراء الكندى ، ومحمد بن سفيان بن مجاشع ، ومحمد بن حمران الجعفى ، ومحمد بن خزاعى السلمى ، لا سابع لهم ، ويقال : إن أول من سمّى محمدا محمد بن سفيان بن مجاشع ، واليمن تقول : بل محمد بن ليحمد الأزدى . ثم إن الله حمى كل من تسمّى به أن يدعى النبوة ، أو يدعيها له أحد ، أو يظهر عليه سبب يشكل أحدا فى أمره ، حتى تحققت الشيمتان له صلى الله عليه وسلم لم ينازع فيهما .

ورسوله : من الرُّسل ، وأصله الانبعاث ، فالرسول المنبعث ، ويقال تارة للقول المتحمّل ، وتارة لمتحمّل القول ، ورُسل الله تارة يراد بها الأنبيا كقوله « إنه لقول رسول كريم » ، وتارة يراد بها الأنبياء كقوله : « وما محمد إلا رسول » ، والإرسال يقال فى الإنسان ، وفى الأشياء المحبوبة والمكروهة ، وقد يكون بالتسخير كإرسال الريح والمطر ، وببعث من له اختيار كإرسال الرسل ، وبالتخلية وترك المنع كإرسال الشياطين على الكافرين .

والعبد : من العبادة ، وهو على جملة أضرب : عبد بحكم الشرع ، وهو الإنسان الذى يصح بيعه وابتياعه ، وعبد بالإيجاد ، وذلك ليس إلا لله تعالى ، وعبد

مكتبتنا العربية

بالعبادة والخدمة ، والناس فى هذا ضربان ، عبد لله مخلصاً ، وعبد للدنيا وأغراضها . وجمع العبد الذى هو مسترق عبيد ، وجمع العبد الذى هو العابد عباد فالعبيد إذا أضيف إلى الله تعالى أعم من العباد .

والمتوكل : من التوكل ، وهو اعتماد القلب على الله فى حصول ما ينفع العبد ، ودفع ما يضره فى دينه ودنياه ، وقد كان صلى الله عليه وسلم أحق الناس باسم المتوكل ، لأنه توكل على الله فى إقامة الدين توكلا لم يشركه فيه غيره . والتوكل يقال على ضربين : توكلت لفلان بمعنى توليت له ، ووكلته فتوكل لى ، وتوكلت عليه بمعنى أعتمده ، وواكل فلان ، إذا ضيّع أمره متكلا على غيره ، وتواكل القوم : إذا اتكل كل على الآخر ، والتوكيل : أن تعتمد على غيرك ، وتجعله نائبا عنك ، والوكيل : فعيل بمعنى المفعول .

والفظ : الكريه الخلق ، مستعار من الفظ الذى هو ماء الكرش ، وذلك مكروه شربه ، لا يتناول إلا فى أشد ضرورة ، قال تعالى : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

والغليظ : الخشن ، والغلظة ضد الرقة ، وأصله أن يستعمل فى الأجسام ، لكن قد يستعار للمعانى كالكبير والكثير : قال تعالى « وليجدوا فيكم غلظة » أى خشونة ، واستغلظ : تهيأ لذلك .

وصخاب : من الصخب ، وهو شدة الصوت ، يقال : صخب فهو صخاب وصخب وصخوب وصخبان ، وتصاخبوا : تصايحوا وتضاربوا ، واصطخاب الطير : اختلاط أصواتها .

والأسواق : جمع سوق ، وهو الموضع الذى يجلب إليه المتاع للبيع ، قال تعالى : « وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ، ويمشى فى الأسواق » .

ويجزى : من الجزاء ، وهو ما فيه الغناء والكفاية من المقابلة إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر .

والسيئة : الفعلة القبيحة ، وهى سيئة ، وتقع على ضربين : أحدهما بحسب اعتبار العقل والشرع ، نحو « بالسيئة ، فلا يجزى إلا مثلها » ،

مكتبتنا العربية

وثانيهما بحسب اعتبار الطبع ، وذلك مايستثقله الطبع ، نحو : « وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه » .

ويعفو : من العفو ، وهو التجافى عن الذنب ، وعفوت عنه : قصدت إزالة ذنبه صارفا عنه ، فالمفعول فى الحقيقة متروك ، وعن متعلق بمضمر ، وقولهم فى الدعاء : أسألك العفو والعافية أى ترك العقوبة والسلامة .

ويصفح : من الصفح الذى هو ترك التثريب ، وهو أبلغ من العفو ، فإنه قد يعفو الإنسان ، ولا يصفح ، وصفحت عنه : أوليته من صفحة جميلة ، معرضاً عن ذنبه ، أو لقيت صفحته متجافياً عنه ، أو تجاوزت الصفحة التى أثبت فيها ذنبه من الكتاب إلى غيرها ، والمصافحة : الإفضاء بصفحة اليد .

وأقبضه : من القبض ، وهو تناول الشىء بجميع الكف ، ويستعار لتحصيل الشىء وإن لم يكن فيه مراعاة الكف ، كقولك : قبضت الدار من فلان ، أى حزتها ، ويكنى بالقبض عن الموت ، فيقال : قبضه الله ، ومنه الذى معناه والانقباض : جمع الاطراف ، ويستعمل فى ترك البسط .

وأقيم : من الإقامة ، وهى الثبات فى المكان ، وإقامة الشىء توفيته حقه ، قال تعالى : « قل يأهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والإنجيل » أى توفون حقوقهما بالعلم والعمل .

والملّة : من أملت الكتاب ، وهى كالدين اسم لما شرع الله لعباده على لسان الأنبياء ، ليتوصلوا بها إلى جوار الله ، والفرق بينها وبين الدين : أن الملة لا تضاف إلا إلى النبى الذى تسند إليه ، ولا تكاد توجد مضافة إلى الله ، ولا إلى آحاد أمة النبى ، ولا تستعمل إلا فى جملة الشرائع دون آحادها ، ويقال الملة اعتباراً بالشىء الذى شرعه الله ، ويقال الدين اعتباراً [illegible] يقيمه ، إذا كان معناه الطاعة ، والمراد بإقامة الملة فى الحديث توفيتها حقوقها [illegible] جوع بها إلى ما يجب أن تكون عليه من استقامة واعتدال .

والعوجاء : المخالفة لحال الا[illegible] تقامه ، والعوج يقال فى المنتصب

مكتبتنا العربية

الذى يدرك بالبصر سهلا ، كالحائط والعصا ، والعوَج يقال فيما يدرك بالفكر والبصيرة كالدين والمعاش ، والأعوج يكنى به عن سوء الخلق .

* * *

ذكر كثير من العلماء - أخذاً من قول الحديث : « بأن يقولوا : لا إله إلا الله » أن فيه دليلا على أن الاعتقاد الجازم كاف فى الإيمان ، وأنه لا يجب تعلُّم الأدلة ، ولا جعلها شرطاً فى تحقق الإسلام ، كما ذهب إلى ذلك كثير من المعتزلة وبعض المتكلمين . قال النووى : قد تظاهرت الأحاديث الصحيحة التى يحصل من عمومها العلم القطعى بأن التصديق الجازم كاف .

وذكروا أيضاً أنه يصح أن يؤخذ من الحديث اشتراط التلفظ بكلمة الشهادة فى الحكم بالإسلام ، وترك تكفير أهل البدع المقرين بالتوحيد ، الملتزمين للشرائع .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مجاهدة النفس

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب » .

وقال عون بن عبد الله : إذا عصتك نفسك فيما كرهتَ ، فلا تطعها فيما أحبت ، ولا يغرنك ثناء من جهل أمرك .

وقال الأحنف بن قيس : من ظلم نفسه كان لغيره أظلم ، ومن هدم دينه كان لمجده أهدم .

وقال بعض الحكماء : من رضى عن نفسه أسخط الناس عليه .

وقال آخر : من قوى على نفسه تناهى فى القوة ، ومن صبر عن شهوته بالغ فى المروءة .

عبدة الأهواء

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد محمد المدنى
المفتش بالأزهر

يقول أهل العلم : إن من المقاصد التى جاءت لها الشرائع ، إشعار الناس بأنهم عبيد لله اختياراً ، كما أنهم عبيد له اضطرارا .

ومعنى هذا : أن الناس جميعاً مخلوقون لله عز وجل ، وأنهم معتمدون فى بقائهم مدة ما يعيشون على فضل الله ورحمته وإمداده ، فإذا انقطع عنهم هذا الفضل وذلك الإمداد طرفة عين هلكوا ، وأصبح علمهم وتجاربهم ومالهم من حيل أو عمل باطلا لا يغنى عنهم فتيلا ، ولا ينفعهم نقيراً ؛ وهم لذلك عبيد لله فى الواقع ، لا يرجع الأمر فى ذلك إلى اختيار منهم ، فهم مربوطون بهذا الكون لا ينفكون عنه ، مأخوذون بسننه رضوا أم أبوا .

ومن جهة أخرى هم خاضعون لإرادة الله فى وجودهم وهيئاتهم ، ودرجات عقولهم وحظوظهم ؛ فإن أحدا لم يوجد فى هذه الحياة باختيار منه ، ولم يختر الهيئة التى صُوِّر عليها من طول أو قصر ، أو جمال أو دمامة ، أو قوة أو ضعف ؛ وإن أحداً لم يختر لنفسه أن يكون على درجة كذا من العقل ، أو أن يكون ذا قسط معين من حظوظ الحياة ، فالحياة تجرى على ما أراده الله لها ، والناس يجرون كما خلقهم الله ، والكل خاضعون خضوعا فعليا اضطراريا لما هم عليه ، أو لما هم فيه ، لا يحاولون ولا يستطيعون منه فكاكا .

هذا الخضوع الواقعى الاضطرارى هو عبودية الناس ، بل عبودية كل شىء لله سبحانه خلقاً وتكويناً ؛ أما العبودية التى قصدت الشرائع أن يشعر بها الناس :

مكتبتنا العربية

فهى عبودية الطوع والاختيار . وذلك إنما يكون بالنزول على حكم الله ، مع الثقة بأنه الخير والحق والرشاد .

* * *

إن النفوس البشرية نزاعة دائما الى اتباع الهوى ، فقد فطرت على ما تسميه « بالأنانية » فكل امرىء يريد أن يكون هو الفائز بأكبر قسط من متاع الدنيا ، وكل امرىء يريد أن يكون هو الناجى من جميع آلامها وصعابها ، وهو لهذا ينظر الى الأشياء بعين نفسه ، ويزن الضار والنافع بمقدار ما يعود عليه هو من النفع والضرر ، وقلما يخرج الإنسان على هذه الطبيعة ، وإن تحمل وتجمل وتهذب ولبس ثوب الإيثار ، فانه سيظل فى أسر هذه الطبيعة ولو بعقله الباطن ، وتصرفاته « اللاشعورية » ؛ ولهذا لم يكن بد من أن يحال بين هذه الطبيعة السارية فى جنس الإنسان ، وإفساد هذا الكون : ولهذا كانت الشرائع ، وكان أهم شىء فيها هو محاربة « الهوى » لأن الانسان إذا تحرر من هواه ، فقد تحرر من أخطر أنواع الشرك بالألوهية ، وألقى بنفسه بين أحضان الإيمان الصحيح ، والتوحيد الخالص ، وكان عبداً لله اختياراً كما هو عبد له اضطرارا .

وإننا لنجد فى القرآن الكريم بيانا واضحا لهذا المعنى ؛ فالله سبحانه وتعالى يصف « الهوى » بأنه إله إذ يقول : « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه » ؛ وذلك تصوير بليغ لانسياق الإنسان واندفاعه وراء ميوله ورغباته ؛ كما يندفع العابد فى تحقيق أمر معبوده ، طلبا لرضاه ، وتقربا إليه .

وقد يتصل بهذا أيضا قوله تعالى : « ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن » فإن هذه الآية إذا نُظر فيها مع قوله تعالى « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » تبين أنها تشير إلى خطر الأهواء وشدة إفسادها للسموات والأرض إذا حكمت ، فإن الله لم يذكر فساد السموات والأرض على هذا النحو إلا حين تحدث عن التعدد فى الألوهية ، واتباع الحق أهواء المبطلين .

وقد حذر الله من هذا الفساد نبيا ملكا من أنبيائه الكرام ، هو داود عليه السلام إذ يقول : « يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » . وإذا كان مُلك الله - جل جلاله - وهو السموات والأرض ومن فيهن وما لا يعلم إلا الله معرضا لأشد الفساد إذا اتبع الحق أهواء المبطلين ؛ فأولى بذلك ملك الناس ولو كانوا ملوكا أنبياء .

وقد صرنا إلى زمان اتّبعت فيه الأهواء ، وسيطرت على الدول والأمم فيه النزعات والمذاهب البشرية ، فمن نازية الى فاشية الى ماركسية الى ديمقراطيه تتلون بلون الانجليز تارة ، وبلون الفرنسيس تارة ، وبلون الامريكان أحيانا ، بل يكون لها معنى فى الغرب ، ومعنى فى الشرق ، ويعرفها المستعمِرون على وجه ، والمستعمَرون على وجه آخر ، أو على وجوه أخر ، وهكذا ظلمات من الأهواء بعضها فوق بعض ، والشعوب تتلظى بنيران المتخاصمين عليها ، والمتعصبين لها ، فلا تفيق من حرب إلا إلى حرب ، ولا تعالج مشكلة إلا لتقع فى مشكلات ، وكلما امتد الزمان بهذه الأهواء المتضاربة ، والنحل المتغالبة ، افتنّ أصحابها فى ابتكار وسائل الهلاك والدمار ، والحرب الغازيّة تتلوها « القنبلة الذرية » ثم حروب الأمراض والأوباء تبث فى الناس فتعمى بها الأبصار ، وتشوى بها الجلود والأبشار ، وينتقل بها سكان الأكواخ والقصور ، الى الأرماس والقبور . ذلك وما يعانيه الناس من الفاقة والضيق ، والخوف والعوز ، أشد عليهم وأنكى من هذا الموت المرتقب ؛ فإنه مامن شعب الآن إلا وقد ضوت منه الجسوم ، وخوت البطون ، وشحبت الوجوه ، واضطربت الأعصاب ، وغامت العيون ، وكأنما هى سنو يوسف غير أنها ليست سبعا ، وقد مضى منها حتى اليوم عشر ، ولا يدرى أحد إلا الله إلام تمتد ، وهل تخف حدتها أو تشتد .

لعمرى ما نكبت البشرية بذلك إلا من اتباع الأهواء ، وازورار الناس عن أن يكونو عبيداً لله اختياراً كما هم عبيد له اضطراراً .

إن أمر الناس والأديان اليوم دائر بين أمة خلعت رداءها ، ونبذت أحكامها وتكاليفها ، وتحللت منها علانية فى غير خفاء ولا تورع ، وأمة تمسكت بها رسماً لا حقيقة ، واحتفظت بها كتقليد ورثته فأبقت على صورته ؛ ولا تكاد تجد

مكتبتنا العربية

أمة تتمسك بدينها ، وتبنى جميع أمورها عليه ، وتدير شئونها حسب رسومه . ومن عجب أنهم يعتبرون ذلك رقياً فى الحياة ، وتخلصاً من آثار القرون الأولى ، وانفلاتاً من قيود الرجعية ؛ وإذا رأوا داعياً إلى الدين ، ومنذراً ينذرهم لعلهم يرجعون ، سخروا منه ، ورموا بأباطيلهم فى وجهه ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا « أفمن كان على بينة من ربه كمن زُين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم » !

لقد قلت وما زلت أقول : « إن العالم لفى حاجة الى دعوة صادقة مخلصة ترسم له سبل الحياة السعيدة ، وتضع له أسس الاستقرار والسكينة ، وتجمع فى تعاليمها بين المادية والروحية ؛ فلا تسمح لإحداهما بأن تطغى على الأخرى ، ويشعر فى ظلالها كل فرد بأنه لبنة فى بناء المجتمع ، وتأخذ الفطرة الصافية فيها حظها الطبيعى فى كل ناحية من نواحى الحياة ، فلا أثرة ولا استئثار ، ولا معاندة لما طبع الله عليه العالم من التفاوت فى المال ، والمواهب والاختصاص ، ولا تحكم ولا تمرد ، ولا عصبية لجنس على جنس ، ولا امتياز للون على لون ، ولا غمط لحق ، ولا انتصار لباطل ، ولا ترويج لرذيلة ، ولا تنكر لفضيلة . ولن يجد العالم هذه الدعوة الصادقه المنقذة إلا فى « الإسلام » ولو ظل قرونا من الدهر ينظر الى « الكتلتين » ، ويرجع البصر كرتين . فليت شعرى إلام يقبع المسلمون فى ديارهم وأوطانهم منكمشين يطرقها عليهم الطارقون ، فإما فتحوها لهم كارهين ، وإما ظلوا من ورائها خائفين يترقبون ! .

ألا إنهم لأرباب دعوة ، وأصحاب فكرة ، ودعوتهم هى النور المبين الذى به تمحى ظلمات الجهل والشرك والهوى والفساد ، والعلاج الحاسم لأدواء هذا العالم التى حار فيها المتطببون ؛ فليخوضوا بدعوتهم كل مخاض ، وليعرضوها على العقول بيضاء نقية ؛ كما جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم ، وليلقوا بها فى وجوه أهل الباطل وما اصطنعوا من دعوات الهوى والضلال ، فإن الحق سيزهق الباطل ، وإن عصا موسى ستلقف ما يأفكون .

فى العدل والجور

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود النواوى

وكيل معهد أسيوط

فى كتاب الله سبحانه « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين، إن يكن غنياً أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا » .

وفى السنة النبوية الكريمة « عدل يوم واحد أفضل من عبادة ستين سنة »

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فان العبادة توجيه سليم ، وتهذيب عظيم ؛ ليكون الإنسان خليفة فى الأرض ، قائماً بالقسط ، حتى يحيا الناس حياة طيبة فى دنياهم ، وحتى يسعدوا بجوار الله الكريم فى آخرتهم .

شهد بذلك الكتاب والسنة ، فإن كتاب الله سبحانه يقول : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » . ويذكر أنه فرض الصيام لتهذيبه « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » . ويذكر أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وأن الزكاة طهرة وزكاة للنفوس « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم » ، والسنة وزير الكتاب ونصيره . فإنها تقول « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » و « من لم تنهه صلاته فلا صلاة له » وقيل للنبى صلى الله عليه وسلم : إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها . فقال : لا خير فيها وهى من أهل النار . وما أكثر ذلك المعنى فى الدين . وجماعه فى قول الله سبحانه « أوَ من كان ميتا فأحييناه

مكتبتنا العربية

وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات » . فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام » . ولهذا قال العلماء إن أحكام الشريعة الإسلامية دائرة حول أمرين : جلب المنافع ودرء المفاسد . ولعل أساس ذلك كله العدل ، فهو الميزان الذي وضع الله لعباده ، لا تصلح حياة إلا عليه ، ولا يقوم نظام إلا به . وهو القسطاس الذي أراد الله سبحانه لعباده ، فما عبد الله من تنكب عنه ، ولا عرف الله من أنكره .

إن العبادة الحق خشوع في القلب ، واتصال بالرب . ولن يكون خشوع واتصال إلا ومعه ميزان واعتدال « ولقد ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما ، قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين » .

وما كان الله ليقبل شخصاً في ملكوت السماء حتى ينزل على حكم الحق ، ويكون هواه في كنف القسط والعدل ، لا تميل به شهوة ، ولا تستهويه نفس جامحة .

إن العبادة الحق دين قيم ، ولا دين إلا بالعدل في القضية ، والمساواة بين الرعية ، على اختلاف جهات الرعاية ، ولو كان الراعي مالكا لما يقضي فيه . ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن جاءه يشهده على هبة لأحد أبنائه : هل وهبت لأخيه ؟ قال لا ، قال : فأشهد غيري ، لا أشهد على زور ، اتقوا الله واعدلوا بين أبنائكم .

إنه لا دين حتى يكون عدل تعمر به الأرض ، ويأمن به الخائف من الخوف ، وحتى يرحم الكبير الصغير ، ويوقر الصغير الكبير ، ويتعاون الكل مع الكل ، ولذا يظهر ذلك المعنى حق الظهور في عهد النبيين والخلفاء الراشدين والأئمة الصالحين . وأخبر رسول الله أن تمام هذا الدين يتمثل في أن يسير السائر مسافة كذا وكذا لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه . فالدين الصحيح يتمثل في العدل ، والعدل يتمثل في السلام والأمن . والعدل من أمثل صفات النبيين والمصلحين ؛ ولذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم لمن شك في عدله : ويحك من يعدل إذا لم أعدل ! يشير بذلك إلى أنه أحق بالعدل ، لأنه أحق الناس بالدين .

وفي الكتاب والسنة كثير من التوجيهات ذات الدلالة على أن مرضاة الله في العدل وسخطه في البغي ، فهو ينتقم من الظالمين ، وينصف المظلومين ولو بعد حين .

مكتبتنا العربية

لقد كان قارون من قوم موسى فبغى عليهم فخسف الله به وبداره الأرض . ولقد علا فرعون فى الأرض وجعل أهلها شيعا ، واستكبر هو وجنوده فأخذهم الله سبحانه فنبذهم فى اليم ، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين .

وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، فدمرهم الله وقومهم أجمعين ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا .

وكل أخبار الأمم السالفة فى قصص القرآن تدور حول الظلم والطغيان وجزاء الظالمين . لقد تردد هذا المعنى فى الكتاب بما هو جدير أن يكون عظة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وكذلك سارت السنة تساند الكتاب الكريم وتستمده ؛ فقال السيد الرسول صلى الله عليه وسلم « إن الحية لتأرز الى جحرها من ظلم ابن آدم . ثم تلا « ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة » الآية ؛ وقال السيد الرسول صلى الله عليه وسلم « إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » . ثم تلا « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة ، إن أخذه أليم شديد » وفى الحديث الصحيح « إنكم تختصمون إلىّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أعلم ، فمن قضيت له بشىء من مال أخيه فإنما أقتطع له قطعة من جهنم » .

وإذا كان الرضا فى العدل والسخط فى الظلم ، فإن العدل خير من العبادة مع الظلم ، وعدل يوم واحد خير من عبادة ستين سنة ، لأن العبادة بدونه غير مثمرة ولا مؤدية لما هو المقصود . وإذا كانت السنة الكريمة قد نصت على عدد معين وهو الستون من السنين ، فإن العدد فى ألفاظ الدين لا يراد به التحديد ولكنه للتأثير والتسديد ؛ فما أكثر العدد فى ألفاظه من غير قصد إلى ظاهر دلالته .

وبعد : فإن الدين ليس صورا من العبادات فى صلاة وصوم ، وتحريك الشفة بما يوهم أنك من خيرة القوم ، وإنما الدين إيمان يخالط السويداء ، ونور من الله يقتحم فى النفس إلى كل داء ، فيشفى الصدور ، ويخرج منها كل بغى وزور ، ويبدد كل رعونة فى الإنسان المسكين ، كما يبدد الفجر ظلام الليل البهيم : يهدى الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس ، والله بكل شىء عليم .

مكتبتنا العربية

إن الدين إصلاح في الأرض ، وسعى بين الناس بالخير ، ونصفة للمظلوم ، وأخذ بناصر كل مكلوم ، ومسح برأس البائس ، وتخفيف من آلام المحروم اليائس ، وطهر وصفاء ، وصدق ووفاء ، وجهاد في سبيل الحق ، وحمل للنفس على المذهب الأشق ، لتقف في حيز الصراط المستقيم ، ولا تغلو أو تهبط . فكلُّ طريق ذميم . ذلك هو العدل الذي وضع الله لعباده .

والعدل إنما يصح في نفس تخشى الله ، أو تخاف التلف أو الشقاء . والأول هو العدل الإسلامي الذي تعبَّد الله به عباده ، والثاني هو العدل النظري الذي قصد اليه الحكيم بقوله : الملك يبقى على الكفر ، ولا يبقى على الظلم. فكفر مع ذلك العدل النظري أسعد للملك ، وأبقى له من إيمان لا عدل معه . وفي ذلك تعزيز للحديث الذي جاء في صدر هذا المقال ، والذي يدور حوله . وقد ظهر للقارىء الكريم أن الحديث عن العدل الديني الذي يكون منزعه مراقبة الله ، وخشيته . فهو من غير ريب وليد التدين ، ونتيجة التحنث[1] . فكلما صفا القلب لله ، وتعرف إلى ساحة مولاه ، بإدمان الاستغفار ، والقيام بالأسحار ، وتلاوة كتاب الله ، وإقام الصلاة ، والإنفاق في رضاه ـ كانت الاستقامة والاتزان ، والنفع والحنان ، والإصلاح والإحسان ، وذلك هو العدل والميزان : وإن خبث القلب بالفسوق والعصيان . وعشا عن ذكر الرحمن ، أثمت الجوارح فلا تخرج إلا نكدا ، ولا ترضى أحدا ، ثم تكون فتنة في الأرض وفساد كبير .

إن العدل في ذاته معنى واسع فسيح ، فهو يكون مع من فوقك ، ومع من دونك ، ومع من يساويك : وتفصيل ذلك في كتب الأخلاق . والعدل معنى غامض في جزئياته محفوف بمخاطر الهوى . والهوى إله يعبد . ولذلك عز تحققه ، ورفع إلاَّ من قليل النزوع إليه . فخلط الناس وخبطوا ، وغلوا واشتطوا . فليس هناك إلا في النادر العزيز من ينصف من ابنه أو أبيه ، ومن يحكم لخصمه ومعاديه ، ولكن الكتاب ينطق بالحق « كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » « كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى » .

---

(١) أما المشرك بالله فهو في الدين أظلم الظالمين . قال الله سبحانه « إن الشرك لظلم عظيم »

مكتبتنا الغربية

وقد عرف ذلك أولو العزم ، فقال محمد صلى الله عليه وسلم « لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » ، ووضع ربا عمه العباس قبل كل الناس . وعرفه عمر فأخرج ابنه من ولاية المسلمين لئلا يكون اثنان فى بيت الخطاب . يليان ذلك الجانب الخطير . رحم الله عمر . وهل يقول الله سبحانه فى كتابه « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » إلا والعدل معنى غامض ، ومرام عزيز . « وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » .

أفبعد هذا يستطيع إنسان أن يستهين بالعدل ولا يضعه من الدين فى السنام ، ويقر بأن عدل ساعة خير من عبادة كثير من الأعوام .

لقد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم سبعة يأمنون يوم يخاف الناس ، ويستظلون بظل العرش يوم لاظل إلا ظل الله : فبدأ بالإمام العادل لأنه إمام هؤلاء ومقدمهم . ولولا خطورة العدل وبالغ أثره فى إصلاح الحياة ، وغمرها بالخير والسعادة : لولا ذلك لما كان ذلك الوضع من الرسول الحكيم ، والنبى الكريم . وهل كان الصديقون من المؤمنين يتحرجون من الولاية ، وينفرون من قبول القضاء ، إلا لما رأوا من خطورة ما استهدفوا له وتعرضوا لمزالقه . سجن الإمام الأعظم أبو حنيفة على أن يلى القضاء وضرب بالسياط ، فاحتمل كل ذلك فى جنب الله ، لأنه رأى القضاء مظنة الظلم ، والظلم معصية ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .

أين ذلك العدل الذى جعل عمر وهو الأمير الشديد فى الحق ، القاسى فى التحامل على كل مشتط ، ينام فى الطريق بلا سلاح ولا حارس ، لا يبالى فى الله أن يؤلم أى كبير ، ولا يستثنى من درته أى وال أو أمير ، الضعيف عنده قوى حتى يأخذ له بحقه ، والقوى ضعيف حتى يأخذ الحق منه .

إن كل فساد فى الأرض وشق لعصا الطاعة ، ومشاقة للجماعة ، وقتل وفتك ونقض للعهد ، وتعد للحد ، وتظاهر بالإثم والعدوان ، واضطراب فى نظام العمران - إن كل ذلك من الجور بين الناس . « وكذلك نولى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون » . بل إن كل قحط وجدب ، وضيق وضنك ، وجوع

مكتبتنا العربية

وخوف ، وبلاء وانتقام من الملك العلام ـ هو من التظالم . بين العباد ، وبما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون .

وإن كل خير ورشد ، وصفاء وود ، وتعاون وتساند ، وهدوء سائد وإخاء وإصلاح . هو من تنسم ريح العدل الرخاء ، ووضع كل شيء فى وضعه غير نابٍ ولا قلِق .

ولم يجمع الناس على تقدير فضيلة إجماعهم على تقدير فضيلة العدل التى هى القلب النابض لجميع الفضائل ، ولا أجمعوا على إنكار رذيلة إجماعهم على إنكار الجور والمظالم . فكيف لا يكون عدل يوم يقوم فيه معوج ، ويغاث فيه ملهوف ، خيرا من كثير من العبادة التى يقصر خيرها على صاحبها ولا يتعدى الى سواه .

لقد ضرب الله سبحانه وتعالى المثل للعدل فى أدق صوره حتى فى أتفه شيء وأحقره عنده وهو الدنيا ، فجعلها بين الناس دولا ، لهذا زمان ولهذا زمان ، فكانت مصائب قوم عند قوم فوائد ، وكان النظام كما قال القائل :

إذا ما الدهر جر على أناس كلاكله أناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

بل كان أدق من هذا ، فجعل الأيام قسمة للشخص الواحد ، فيوم لك ويوم عليك . ذلك عدل الله وحكمه فى السماء . فمتى يرضى عباد الله أن يكونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيرا فالله أولى بهما . ويارحمة السماء لمن فى الأرض .

المهابة

أحسن ما قيل فى التهيب قول الشاعر :

بنفسى من لو مر برد بنانه على كبدى كانت شفاء أنامله
ومن هابنى فى كل شيء وهبته فلا هو يعطينى ولا أنا سائله

وقال آخر :

أهاشم يافتى دين ودنيا ومن هو فى اللباب من اللباب
أهابك أن أبوح بذات نفسى وتركى للعتاب من العتاب

مكتبتنا العربية

لا تعارض فى آيات الكتاب الكريم

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ الطيب النجار
المدرس بكلية أصول الدين

ينطق بالحق ، ويخبر بالحكمة ، ويلهم النفوس تقواها ، ويرشدها إلى خيرها وهداها : كتاب أحكمت آياته ، وتسامت معانيه وألفاظه ، لا تجد من بينها تعارضاً ولا اختلافا ، ولا تهافتاً ولا اضطرابا ، بل تجد دقة فى الوضع ، وجمالا فى التصوير ، وإحكاما وإتقانا ، وأسلوبا يبهر العقول ، وتخاذل أمامه كل أسلوب . عنت له الوجوه ، وخشعت عنده القلوب ، وخرت أمامه أساطين البلاغة والفصاحة .

وكيف لا يكون كذلك وهو من لدن حكيم خبير ، جاء بالآيات البينات والدلائل الواضحات ، والروعة والجلال « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً » .

وما تشدق به الملحدون الذين لم يتذوقوا طعم الإيمان ولم يجدوا حلاوته ، من دعوى وجود اختلاف وتعارض بين بعض آياته ، فذلك يرجع إلى أحد أمرين : إما للعناد والمكابرة وتلمس أتفه الشبه التى لا تلبث أن تزول بمجرد النظر الصحيح ؛ وإما للجهل بأساليب الكتاب العزيز التى لا يعرفها إلا من مارس البلاغة والبراعة ، وعرف ضروب التفنن فى أساليبها ، وتذوق مزاياها وخصائصها .

وإنى أسوق أقوى ما تمسكوا بخيوطه ، وتعلقوا بأهدابه ، مبيناً أنها خيوط عنكبوت لا تتماسك ولا تقوى على حماية من يعتمد عليها ، ولا تحفظه من التردى فى حفرة باطله .

ورد من بين آيات الكتاب آيات تنطق أن خلق الارض تقدم خلق السموات ، وأن خلقهما استغرق ثمانية أيام ؛ وآيات تنطق أن خلق السموات تقدم خلق الارض ، وأن خلقهما استغرق ستة أيام مع أنه لا يوم إذ ذاك .

مكتبتنا العربية

ويبدو للناظر فى ظاهر ذلك ما يوهم الاختلاف والتعارض . لذلك كان من الخير أن نعرض لتلك الآيات بالبيان حتى تسفر الحقيقة مشرقة الوجه واضحة الجبين لا يعلوها غبار ولا يلحقها شين .

ورد قول الله تعالى من سورة النازعات « أأنتم أشد خلقاً أم السماء ؛ بناها ، رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها ، والأرض بعد ذلك دحاها » صريحا فى معناه واضحاً فى دلالته على أن خلق السماء تقدم خلق الأرض ، حيث ذكر خلق السماء وما يتعلق بها ، ثم ذكر خلق الأرض وما يتعلق بها ، ثم أردف ذلك بقوله « والأرض بعد ذلك دحاها » أى بعد أن خلق السماء وما يتعلق بها دحا الأرض وبسطها . بينما نجد الآيات من سورة فصلت « قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين . . . إلى قوله : فقضاهن سبع سموات » تفيد بظاهرها أن خلق الأرض تقدم خلق السموات ، خصوصاً الإتيان بكلمة (ثم) التى هى للترتيب بعد الفراغ من ذكر خلق الأرض وما يتعلق بها ، وتفيد أن خلق الأرض كان فى يومين لقوله « خلق الأرض فى يومين » وأن خلق ما يتعلق بالأرض كان فى أربعة أيام ، لقوله « وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام » وأن خلق السماء كان فى يومين ، فتكون مدة خلق الأرض والسماء ثمانية أيام لا ستة .

ومن هنا اختلف العلماء فى طريق العلاج لحل هذه المشاكل ؛ فرأى بعضهم أن خلق الأرض تقدم خلق السماء كما هو منطوق قول الله تعالى « قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً ، ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين . ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات فى يومين ، وأوحى فى كل سماء أمرها » .

فأنت ترى هذه الآيات قد تحدثت عن خلق الأرض وما يتعلق بها أولا ، ثم جاءت كلمة ثم التى هى للترتيب مع التراخى الزمانى ، وتحدثت عن خلق السماء وما يتعلق بها ثانيا .

وما ورد من سورة النازعات من قوله « والأرض بعد ذلك دحاها » بعد ذكر خلق السماء وما يتعلق بها أولا ؛ فمعناه أنه تعالى خلق الأرض أولا

مكتبتنا العربية

ثم خلق السماء ، ثم قصد إلى الأرض فدحاها وبسطها . وبذلك لا يكون هناك تعارض ولا اختلاف بين الآيات . وهذا يوافق المروى عن ابن عباس ، فقد روى البخارى أن ابن عباس سئل عن التعارض الحاصل بين قول الله تعالى « والأرض بعد ذلك دحاها » وبين قول الله تعالى « أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين .. إلى قوله : طائعين » فأجاب بأنه تعالى خلق الأرض فى يومين ، ثم خلق السماء فى يومين آخرين ، ثم دحا الأرض . ودحوها أن أخرج فيها الماء والمرعى وخلق الجبال والآكام فى يومين آخرين ، فذلك قوله : « دحاها » .

ولما كان هذا لا يساعده النظم الكريم ولا تقتضيه جزالته ، بل تنافيه ، لأن الآيات ذكرت خلق الأرض فى يومين ، وذكرت خلق ما يتعلق بالأرض من خلق الجبال والأشجار والنبات والحيوان فى يومين آخرين ، وذلك لا سبيل إليه إلا بعد أن تصير الأرض مدحوة ومبسوطة ، وبعد ذلك قال « ثم استوى إلى السماء » فليس من شك فى أن ذلك يقتضى أن يكون خلق السماء بعد دحو الأرض وبسطها . وهو يطابق ما ورد من سورة البقرة « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات » : إذ لا يكون خلق ما فى الأرض جميعا بدون أن تكون مدحوة ومبسوطة - لما كان الأمر كذلك رأى بعض العلماء أن خلق السماء تقدم خلق الأرض كما هو منطوق قول الله تعالى من سورة النازعات « والأرض بعد ذلك دحاها » أى بعد المتقدم ذكره « أأنتم أشد خلقا أم السماء ، بناها ، رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها ، وأخرج ضحاها » .

يعضد هذا ويقويه قول الله تعالى من سورة الأعراف « إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش » . وقوله من سورة هود « وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء » ومن سورة ق « ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب » لأنها تتحدث عن مبدأ الفطرة . ومن حسن السبك وجودة النظم أن ما يذكر أولا يكون ظاهراً فى أنه هو المخلوق أولا ، وقد ذكر خلق السماء فى هذه الآيات قبل ذكر خلق الأرض ، وأن قول الله تعالى فى سورة فصلت

مكتبتنا العربية

« ثم استوى إلى السماء وهى دخان » بعد أن ذكر خلق الأرض وما يتعلق بها لا يستلزم تقدم خلق الأرض على خلق السماء ، لأن كلمة (ثم) سيقت لغرض تعداد النعم لا لغرض إفادة ترتيب الخلق ، أو يقال إن التقدير ثم كان قد استوى إلى السماء ، كما فى قوله تعالى « قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل » إذ معناه إن يكن سرق . وأنت خبير بأن قصد تعداد النعم لا يمنع إفادة (ثم) الترتيب ، لأن هذا هو معناها ، كما أن تقدير كلمة كان أى ثم كان قد استوى ، يتنافى مع ما عليه القرآن من البلاغة واستقامة معانيه ، لما تقتضيه كلمة (ثم) من التأخير ، وما تقتضيه كلمة كان من التقديم ، وفى ذلك من التنافى مالا يخفى .

وواضح أن القول بتقدم خلق السماء على الأرض ليس بالحصيف ولا بذى الرأى السديد ، وإن عُزى إلى قتادة وارتآه كثير من العلماء ، لأنه يتنافى مع جزالة النظم الكريم ، وتنافت معه معانى الآيات . ألا ترى إلى قوله تعالى « ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين » كناية عن إيجاد السماء والأرض . فلو تقدم خلق السماء خلق الأرض لكان قوله « ائتيا طوعاً أو كرهاً » مقتضياً إيجاد الموجود وتحصيل الحاصل . ومثل هذا يكون بمعزل عن ساحة كتاب اختص بمزايا لا يدانيه فيها سواه .

والذى يصح أن يكون جديراً بالقبول فى هذا الموضوع : أن يحمل الخلق فى قوله تعالى « أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين . . . الآيات » على التقدير والقضاء لا على الإيجاد والحصول ، أى قدر وجود الأرض وحكم بأنها ستوجد فى مقدار يومين : وبذلك تتلاشى شبهة : كيف كان ذلك فى أيام مع أنه لا يوم إذ ذاك ، ضرورة أن اليوم يمتاز عن الليلة بطلوع الشمس وغروبها ولا شمس ولا قمر . « وبارك فيها وقدر فيها أقواتها » أى قدر وقضى أن يكثر خيرها بخلق أصناف الحيوانات وأنواع النبات على ما تقتضيه الحكمة ، وتستدعيه مصلحة العباد « فى أربعة أيام » أى فى تتمة أربعة أيام مقدار يومين آخرين منضمين الى مقدار يومى خلق الأرض ، فتكون مدة خلق الأرض وما يتعلق بها مقدار أربعة أيام ، وتكون مدة خلق السماء يومين ، وبذلك تتعلق آيات فصلت بالآيات الناطقة أنه تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام .

مكتبتنا العربية

ثم شرع سبحانه وتعالى فى بيان التكوين والإيجاد بقوله : « ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً ، قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سموات » أى ثم قصد إلى السماء فقال لها وللأرض التى قدر حصولها وحصول ما فيها كونا وإحداثا وفقا لما قدرنا وأردنا فكانتا على ما اقتضته حكمته البالغة من كمال الإحكام والإتقان وجمال التصوير . وهذا تمثيل وتصوير لكمال قدرته تعالى وأنه لا يمتنع عليه تعالى شىء مما قدره وتعلقت قدرته بحصوله وإيجاده . وبهذا انحسر اللثام واتضح المقام أن (ثم) إنما هى للترتيب بين التقدير والإيجاد ، لا بين إيجاد الأرض وإيجاد السماء . ولا أدل على ذلك من أن هذه الآيات إنما سيقت للتدليل على وحدانية الله تعالى وتنزيهه عن أن يكون له شريك وندّ ، لأن مبدع هذه الكائنات وهذه الأجرام العظيمة ، وتلك النعم الجزيلة ، لا يصح فى العقول السليمة أن يكون له أنداد وأن يكفر ، بل هو المستحق لأن يعبد ويشكر دون سواه .

وإنك لترى على هذا كيف تجاوبت أطراف النظم ، وتعانقت آياته ، ولمعت من بينها شواهد البيان ومخايل الأساليب العالية ، وظهرت جزالته واستقامت معانيه مع الروعة والجلال ؟

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الرفق

قال النبى صلى الله عليه وسلم : من أعطى حظه من الرفق ، فقد أعطى حظه من الخير كله ، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير كله .

قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه وهو أمير المؤمنين : يا أبت مالك لا تنفذ الأمور فوالله لا أبالى فى الحق لو غلت بى وبك القدور . فقال له عمر : لا تعجل يا بنى فإن الله تعالى ذم الخمر فى القرآن مرتين وحرمها فى الثالثة ، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعوه وتكون فتنة .

مفردات فلسفية

حرية

لفضيلة الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى
الأستاذ بكلية أصول الدين

لايجد الباحث شيئا كثيرا عن هذا الحرف أو المصطلح ، فى المعاجم العربية للغة ، أو المعاجم الخاصة بالمصطلحات وتعاريفها ، مما يجد مثله فى المعاجم الأجنبية . أعنى فيما يتصل بتحديد معنى كلمة « حرية » فى نواحى استعمالاتها المختلفة : النفسية ، الأخلاقية ، السياسية ، الاجتماعية ، وغيرها . بل إنى لم أجد فيما رجعت إليه من معاجم اللغة ما يدل على أن العرب استعملوا هذا المصطلح فى بعض ما نستعمله فيه اليوم .

١ — فى اللسان : الحر : نقيض العبد ، والحرة : نقيض الأمة . ومنه حديث عمر للنساء اللاتى كن يخرجن الى المسجد : لأرد كن حرائر ؛ أى لألزمكن البيوت فلا تخرجن إلى المسجد ، لأن الحجاب إنما ضرب على الحرائر دون الإماء .

وفيه أيضا : الحر من الناس : أخيارهم وأفاضلهم . ويقال : هو من حرية قومه ، أى من خالصهم .

٢ — ولا يتعرض الجرجانى فى تعريفاته لهذا الحرف إلا فى اصطلاح أهل الحقيقة ، أى المتصوفة . وهى فى هذه الناحية : الخروج عن رق الكائنات ، وقطع جميع العلائق والأغيار . يريد أن يقول بأن الحرية هى عدم تعلق القلب بغير الله ، بحيث لا يكون لغيره أى سلطان عليه .

مكتبتنا العربية

٣ — والتهانوى فى كشافه يعرّف الحرية لدى الفقهاء بأنها خلوص حكمى يظهر فى حق الآدمى لانقطاع حق الغير عنه . ومثل هذا التعريف نجده فى كتب الفقه ، كما فى درر الحكام لمنلا خسرو القاضى الحنفى حـ ٢ صـ ٢ .

ثم إذا أراد أن يعرّفها عند المتصوفة يذكر ، عن مجمع السلوك ، بأن الحرية عند السالكين انقطاع الخاطر من تعلق ما سوى الله تعالى بالكلية .

فإذا تركنا المصادر العربية ، إلى المراجع الغربية ، نجد بيانا طيبا للمعنى الأولى الذى كان لكلمة « حرية » ، ثم للمعانى العديدة المختلفة التى أخذتها بعد أن اتسع مدلولها وامتد مضمونها هنا وهناك . وهذا المعنى الأولىّ هو ، على ما نرى ، المعنى الذى نجده فى كتب الفقه عندنا ، وفى المعاجم العربية المختلفة .

على هذا المعنى الأولىّ يراد بالإنسان الحر ، الإنسان الذى ليس رقيقا أو أسيراً . فالحرية هى حالة من يعمل ما يريد ، لا ما يراد منه ، أى أنها عدم الالتزام الأجنبى عن الإنسان .

وبعد أن اتسع مدلولها ، كما قلنا ، صارت تدل على هذه المعانى الآتية :

١ — المعنى العام :

ا — حالة الكائن (l'être) الذى لا يعانى أى إكراه أو إلزام من كائن أو موجود آخر ، والذى يعمل حسب إرادته وطبيعته . وفى هذا يقول « أوجست كُونت » فى كتابه التعليم المسيحى الوضعى Catéchisme positive : حينما يسقط جسم من الأجسام ، نجد حريته تظهر فى هبوطه حسب طبيعته نحو مركز الأرض ، فى سرعة تتناسب والزمن ، إلا إذا اعترضه ما يغير من هذه الحركة الذاتية . وكذلك الأمر فى العالم أو النظام الحيوى l'ordre vital ؛ إذ نجد كل عمل أو وظيفة نباتية أو حيوانية توصف بالحرية إذا كانت تتم حسب ما يتعلق بها من قوانين ، دون أى عائق داخلى أو خارجى .

٢ — المعنى السياسى والاجتماعى :

ب — فى هذه الناحية يراد « بالحرية » فقدُ الإكراه الاجتماعى الذى يُفرض على الشخص . وإذاً ، فالمرء حرٌّ فى أن يعمل كل ما يحرمه القانون ،

مكتبتنا العربية

وحر فى ألا يعمل كل ما لا يأمر به . ومن هنا نجد المادة الحادية عشرة من إعلان حقوق الإنسان الذى صدر عام ١٧٨٩ م تقرر : « أن حرية التعبير عن الفكر والآراء حق من حقوق الإنسان ، حق أعلى ما يكون قيمة وخطرا ؛ فكل مواطن له أن يتكلم ويذيع بحرية كل ما يريد ، على أن يكون فحسبُ مسئولا عما يكون من سوء استعمال هذه الحرية فى الحالات المحددة بالقانون » .

« والحريات السياسية » هى الحقوق المعترف بها للشخص ، باعتبارها حقوقا تحدّ من سلطان الحكومة : حرية الضمير والعقيدة ، الحرية الشخصية ، حرية الاجتماع ، حرية وضع دستور ، الحكم بواسطة ممثلين للأمة يُختارون بالانتخاب . . . ألخ .

٣ ــ المعنى النفسى والأخلاقى

حـ ــ الحرية هنا ضدّ لعدم الضمير ، للاندفاع بلا تفكير ، للمسئولية الأخلاقية أو القانونية .

إنه يراد بها حالة المرء الذى سواء كان يفعل الخير أو الشر ، يعزم بعد تفكير ، يعرف تماما ما يأتى وما يذر ؛ حالة من يعرف ما يريد ، ولماذا يريده ؛ حالة الذى لا يعمل إلا حسب ما يُقرّ من أسباب . وفى هذا يقول ماريون Marion فى كتابه التضامن الأخلاقى De la solidarité moralé : إذا كان الشخص الحر هو الذى يملك نفسه بالتفكير ، الذى يعرف ما فى قدرته من نشاط كما يعرف الوجوه التى يتفق فيها هذا النشاط أو هذه القوة ، والذى يقدر العواقب ويقارن ويحكم فى مختلف الظواهر التى يمكن أن تتحقق عن قوته ونشاطه ــ إذا كان الرجل الحرّ هو من هذا شأنه ، يكون واضحاً أن حريته تتبع ظروفا وعوامل مختلفة ، وتختلف طبعا لسبب هذه الظروف والعوامل .

ى ــ وإذا أخذنا كلمة « حرية » فى مقابلة الهوى والعواطف العنيفة ، والجهل والبواعث السطحية ، يكون المراد بها حالة الإنسان الذى يحقق فى أعماله طبيعته الحقة ، هذه الطبيعة التى أهم خصائصها الذاتية العقلُ والأخلاقية .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مكتبتنا العربية

ويطرأ عليها من محن ، أو تتعرض له من أرزاء . . . مع أن أسباب هذا كله الانحراف عن الجادة ، والميل عن السنن الصحيح .

والحجاب منذ أن زال مما بين الذكر والأنثى ، ولعبت الغريزة الجنسية دورها المشئوم بين الأفراد والجماعات ، والإنسانية تعانى من التشرد والفرقة ، والنزاع والخصومة ، والنفور والكراهية ، والإهمال والتهاون ، الى درجة أن افتنّ الناس فى الآثام ، وبرعوا فى الشرور ، ونبغوا فى الإجرام ، وامتلأت السجون بالمقترفين ، والملاجىء بالأيتام ، والمشافى بالمرضى . . والإحصاءات للمشاكل الزوجية وقضايا الطلاق ، التى تغص بها المحاكم الشرعية الآن يدل التتبع والاستقراء أن اكثر أصحابها من هؤلاء الذين أرخوا العنان لشهواتهم ، وتجاوزوا نطاق الدين فيما يلتزمه من آداب ويحتمه من تقاليد وعادات .

وقد كنت إذا قرأت قوله تعالى « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها » أقول إن الفعل هنا مأخوذ من السكون بمعنى عدم الاضطراب ، فإن الرجل حينما ترميه الأحداث بمكروه ، أو تقصده الأيام بنازلة أو يشتد به لفح الحر ، أو تمسه قرقرة البرد ، لا يسرى عنه إلا أن يسكن الى المرأة تمسحه ، وتخفف ما أصابه ، وهنالك ينسى ما لاقى من عنت ، أو صادف من مكروه . وقديما تغنى بذلك الشعراء ، وتحدث الفلاسفة . ولعل أبلغ ما تكون المودة والرحمة ، والميل والحب ، إذا ما أحس المجهود بالعطف ، وتأكد المكدود من الرعاية ، وأدرك المتعب شيئا من العناية فى تلك اللحظة . ولكننى بعد أن أدركت خطر انصراف البعول عن البيت ، وهجر الأزواج للمنازل ، الى مقهى عام ، أو منتدى جامع ، لا يعرفون من أمر الأبناء والأمهات بمقدار ما يعرفون عن المقهى أو المنتدى ، علمت أن استقرار رب الأسرة فيما بينها يرعاها ويحفظها ، ويهديها ويرشدها ، ويؤنسها ويسليها ، لايعوض بمال ولا يقوم بالدنيا وما فيها .

ولا يقصد الحديث الشريف بقوله « والرجل فى بيته راع ومسئول عن رعيته ، والمرأة فى بيتها راعية ومسئولة عن رعيتها » شيئا وراء هذا المعنى ، فإن اجتماعهما للتشاور ، والتفاهم للسمر ، وتجاذبهما لأطراف الحديث ، وتبادلها للرأى ،

مكتبتنا العربية

مع كونه ينمى الحب القائم بينهما ، ويزكى الوشيجة الحاصلة بإفضاء بعضهما إلى بعض ـ يعطى للأطفال دروسا نافعة من التقدير والاحترام ، والتدبر والتروى ، والسياسة والحزم ، والكياسة والبصر ، والفهم والتعقل ، بحيث ينشأ الناشىء وفيه الاستعداد لأن يسبح فى محيط ذلك المجتمع الصاخب بالأصوات ، الملىء بالأفراد .

وفيما يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه دخل عليه ابن أم مكتوم وكان معه عائشة وحفصة رضى الله عنهما ، فأشار عليهما بالتنحى ، فلم يريا مفارقة المجلس لرجل أعمى لا يرى منهما ما يثير فيه رغبة إليهما ، فقال لهما « أفعمياوان أنتما » ! وكان ذلك دستورا عاليا ، وأدبا فياضا ، وسلوكا قويما .

أما الأسرة العصرية الآخذة بأسباب المدنية أو الهمجية فحدث عن سفورها ولا حرج ؛ فإنه سفور لم يقف إلى حد أن رفع من وجهها الحياء ، ونزع من قلبها الأدب ، ومن رأسها المهابة ، فهى لا تتحرج حراما ، ولا تهيب محظورا ، بل صار أهون ما عندها أن تكون كذلك . . وسرت عدوى تلك القحة إلى أولادها الذكور ، فصارت فيهم الخنوثة والطراوة والميوعة والانحلال ، وأصبح الطفل مع أخته فى البيت لا يكاد يدرك العقل بينهما فوارق الذكورة والانوثة ، لأنهما سواء فى الحركة والإشارة ، والحديث والنطق ، والميل والهوى ، والرغبة والطموح ، فضلا عن أشياء وأشياء ، نسأل الله منها اللطف والرحمة .

نصيحة أبوين

لما قدم معاوية من الشام ، وكان عمر أمير المؤمنين قد ولاه عليها ، دخل على أمه هند فقالت له : يا بنى : إنه قلما ولدت حرة مثلك ، وقد استعملك هذا الرجل ، فاعمل بما وافقه أحببت ذلك أم كرهته .

ثم دخل معاوية على أبيه أبى سفيان فقال له : يا بنى إن هؤلاء من المهاجرين سبقونا وتأخرنا عنهم ، فرفعهم سبقهم ، وقصر بنا تأخرنا ، فصرنا أتباعا وصاروا قادة ؛ وقد قلدوك جسيما من أمرهم ، فلا تخالفن أمرهم فإنك تجرى إلى أمد لم تبلغه ولو قد بلغته لتنفست فيه .

قال معاوية : فعجبت من اتفاقهما فى المعنى على اختلافهما فى اللفظ .

مكتبتنا العربية

أهداف الحرب في الإسلام

لحضرة الأستاذ عبد المنعم الصايغ
مفتش الآداب بالأزهر

نهى الإسلام أكثر من مرة عن إثارة الحروب بين الشعوب بغية التوسع وبسط السلطان ؛ ذلك العامل الذى ظل مصدر إغراء باشعالها منذ بدأ الإنسان حياته فى هذا العالم .

وإننا نرى اليوم أن الرغبة فى اغتصاب الحقوق هى التى جعلت الأمم المتمدينة تطمع فى بسط نفوذها على غيرها من الشعوب الأخرى ، متذرعة فى ذلك بما تبديه من مختلف الأسباب ، وما تأتى به من حجج تبرر بها اعتداءها . وإن الإسلام لا يرضى عن حرب هدفها الجشع والاغتصاب ، ويشترط أن يتوافر لإشعالها واحد من ثلاثة أسباب :

أولا : أن يكون الباعث عليها منع الاضطراب ، وأن يراد بها درء ما تتعرض له البلاد من غزو الأعداء .

ثانيا : أن يلجأ اليها دفاعا عن النفس والمال عند كل اعتداء .

ثالثا : أن يستعان بها على أن يتمتع كل مسلم بعقيدته الدينية مهما أحاطت به عوامل الإغراء .

أما السببان الأولان : فليسا فى حاجة إلى إيضاح ، لأن كلا منهما غنى عن البيان . وأما السبب الثالث : فأمر يجد فيه أعداء الإسلام مساغا لهم فى التحامل على العقيدة الإسلامية ، وفاتهم أن القرآن الكريم قد بين الحروب المرغوب فيها ، وأوضح للإنسان كثيرا من التعاليم السامية ؛ فقال تعالى : « لا إكراه فى الدين » ، وجاء القرآن يدعو إلى حرية الفكر والعمل ، وحماية العقيدة من كل عدوان ، فالمسلم ملزم بمحاربة كل من يتدخل فى حرية عقيدته الدينية ، سواء أكان من بنى جلدته

مكتبتنا العربية

أو من أقربائه ، أو كان غير مسلم . وأوجب الإسلام على أبنائه أن يمنعوا كل اعتداء يوجه إلى المعابد غير الإسلامية . وقد أخذ المسلمون بهذا المبدأ فى كل ما فتحوه من بلاد وأمصار . وكان النبي (صلوات الله عليه) يخوض غمار الحروب مع أعداء الإسلام ، وبعد أن تضع الحرب أوزارها كان يعقد معهم معاهدات يحترمها ويقدرها قدرها .

ولقد ترك لنا باحترامه لما أبرم من عهود ومواثيق ، هديا نهتدى به فى حياتنا ونسترشد به فى أمورنا .

قال تعالى « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير » . « الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز » .

جاءت هذه الآية كتنبيه للمسلمين ، بأن أعداء دينهم سيسارعون إلى مهاجمتهم . ولم يكد يمر على هجرة النبي صلى الله عليه وسلم عام ، حتى وقعت غزوة بدر الكبرى ، فتقابل الفريقان عند بدر التى تبعد عن المدينة ثلاثين ميلا تقريبا ، وهناك قتل معظم جيش الأعداء ، وفر قليلون إلى مكة يحملون إليها أسوأ الأنباء . وكان من نتائج الفزع الذى ابتلى به الكفار ، أن نشبت بينهم وبين المسلمين حرب أخرى بلغ عدد جيش الكفار فيها ثلاثة آلاف مقاتل . وترك النبي ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ المدينة لملاقاة أعداء الدين ، ومع أن المسلمين لم يكتب لهم النصر هذه المرة فى موقعة أحد ، لم يظفر هؤلاء هم الآخرون بمغنم ذى قيمة . ولهذا وطدوا العزم ، وأصروا على سحق الإسلام نهائيا : فعقدوا معاهدات مع بعض القبائل ، وحاصروا المدينة بجيش كبير ، بلغ عدده عشرة آلاف مقاتل ، ولم تقع بين الفريقين حرب نظامية ، ولكن عاصفة رملية قاسية هبت ذات ليلة فزلزلت خيام الأعداء ، واقتلعتها واطفأت أنوارهم ؛ فتملكهم الذعر وولوا الأدبار .

ومع أن هؤلاء الكفار كانوا بعد حصار المدنية أضعف من أن يعقدوا حلفا آخر بينهم ، إلا أن الاندحار الذى منوا به . أثار روح الحرب فى جميع بلاد

مكتبتنا العربية

العرب ، وسرعان ما أحاط الكفار بالمسلمين من كل جانب ، وفى ذلك كله جاء القرآن الكريم بقوله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم ، وأنتم لا تظلمون » وقوله تعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله . فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير » وقوله جل شأنه : « إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ، وإن تنتهوا فهو خير لكم ، وإن تعودوا نعد ، ولن تغنى عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت ، وأن الله مع المؤمنين » .

فكل هذه الآيات تبيح الحرب فى حالة الدفاع عن النفس ، وهى تبين لنا جليا أن واجب المسلمين ألا يستمروا فى الحرب إن عدل العدو عن مواصلة القتال . قال تعالى : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ، وتوكل على الله إنه هو السميع العليم » وقال تعالى « وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله ، هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين » .

وعقدت قبائل كثيرة معاهدات مع النبى - صلى الله عليه وسلم - وما كانوا يقصدون من إبرامها إلا أن يخدعوا المسلمين : كما يحدثنا بذلك القرآن الكريم حيث يقول : « الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون » ويرهن الكافرون أكثر من مرة على أنهم لم يكونوا لعهدهم حافظين ؛ قال تعالى : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين . فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر ، واعلموا أنكم غير معجزى الله ، وأن الله مخزى الكافرين » وقوله تعالى : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وخذوهم ، واحصروهم ، واقعدوا لهم كل مرصد ، فإن تابوا ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ، إن الله غفور رحيم » .

وفى هذه الآيات ما يزيد الموضوع إيضاحا ، وما يبين العقاب المعد لهؤلاء الذين لم يستطيعوا أن يحتفظوا بما قطعوه على أنفسهم من عهود ومواثيق ، وكان طبيعياً أن يستأنف المسلمون مخاصمتهم لهؤلاء الذين تحللوا من تعهداتهم ، ودأبوا فى الكيد لهم ، ومع أن هؤلاء المشركين لم يكونوا جديرين بأن يجدوا من المسلمين فرصة لنجاتهم ، إلا أنهم منحوا هذه الفرصة ، وفى هذا يقول الله تعالى « فإن تابوا

وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ، وفى ذكر الآيات الآتية ما يبين منزلة الحرب فى نظر الإسلام : قال تعالى « وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم ، وطعنوا فى دينكم ، فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ، ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة ، أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين . قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويخزهم ، وينصركم عليهم ، ويشف صدور قوم مؤمنين » .

وحمادى القول : أن العالم فى مسيس الحاجة إلى توجيه صالح وآداب طيبة فى حروبه . ولقد جاء الإسلام بما يحقق هذه الأمانى ، فحرم كل حرب يرجى من إشعالها كسب فى أملاك الأمم ؛ كما نهى عن إثارة الحروب التى تهدف - تحت ستار الدين - لبلوغ نفس الغرض . وجاء الإسلام لنشر السلام فى العالم كما يستفاد من اسمه ، ومنع أن يستل سيف من غمده بغير حق ، ودون قصد ، وأوصى لإشعال نار الحرب بأن يستند الراغبون فى إعلانها الى أسباب عادلة .

الحجاب

قال أبو مسهر : أتيت أبا جعفر محمد بن عبدالله بن عبد كان فحجبنى فكتبت إليه .

إنى أتيتك للتسليم أمس فلم ... تأذن عليك لى الأستار والحجب
وقد علمت بأنى لم أرد ولا ... والله ما رد إلا العلم والأدب

قال فأجابنى ابن عبد كان بقوله :

لو كنت كافيت بالحسنى لقلت كما ... قال ابن أوس وفيما قاله أدب
ليس الحجاب بمقص منك يا أملى ... إن السماء ترجى حين تحتجب

ووقف بباب محمد بن منصور رجل من خاصته فحجب عنه فكتب إليه .

على أى باب أطلب الإذن بعد ما ... حجبت على باب الذى أنا حاجبه

ووقف أبو العتاهية الشاعر المشهور إلى باب بعض الهاشميين ، فطلب الإذن فقيل له تكون لك عودة فقال :

لئن عدت بعد اليوم إنى لظالم ... سأصرف وجهى حيث تبغى المكارم
متى يظفر الغادى إليك بحاجه ... ونصفك محجوب ونصفك نائم

مكتبتنا العربية

الحكماء السبعة

لحضرة الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

كان الإغريق القدماء يمجدون الحكمة ويعدونها أسمى شيء فى الحياة ، كما شاع فى الهند تقديس الآلهة ، وفى إيطاليا فى عصر النهضة احترام الفن . ولم يكن أبطال اليونان قديسين أو فنانين بل حكماء . وأرفع الحكماء شأنا ، وأفضلهم منزلة من حسنت سيرته فى الناس ، وعبر عن العمل الصالح بالحكمة الصائبة والقول الذى يذهب مذهب الأمثال السائرة . ولقد جرت الحكمة من أفواه هذه الطائفة ، فأصبحت فى أهل الإغريق أمثلة تحفظ وتروى ، ومواعظ للقدوة والاعتبار ، بل آيات سطرت على أبواب أبولون فى دلفى .

عاش الحكماء السبعة فى النصف الأخير من القرن السابع وأوائل السادس قبل الميلاد ، وهم يمثلون الحكمة العملية فى صدر الحضارة اليونانية .

وصفهم ديكارخوس [1] فقال : ليس الحكماء السبعة فلاسفة أو حكماء ، بل هم قوم فى غاية الذكاء ، وجهوا عنايتهم إلى تنظيم الأحوال العامة .

ولست أدرى أعرفهم العرب فى الإسلام أم لا ؟ نعنى أسماء الحكماء السبعة وصفاتهم وأقوالهم ، وأنهم يمثلون أول ظهور الحكمة أو الفلسفة . وقد ذكر القفطى فى أخبار الحكماء « أساطين الحكمة » تكلم عنهم عندما تعرض لانباذقليس فقال إنه : « حكيم كبير من حكماء اليونان ، وهو أول الحكماء الخمسة المعروفين بأساطين الحكمة ، وأقدمهم زمانا . والخمسة هم : أبيذقليس هذا ثم فيثاغورس ثم سقراط ثم أفلاطون ثم أرسطاطاليس » . ولم نقع على نص

(١) ديكارخوس Dicaerchus من مسينا فى صقلية ، عاش فى القرن الرابع قبل الميلاد ، وهو فيلسوف وجغرافى ومؤرخ ، أخذ العلم على أرسطو وثا وفراسطس . أنفق معظم حياته فى اليونان وفى بلوبونيز بوجه خاص . له كتب كثيرة لم يبق منها إلا أجزاء . وأهم كتبه تاريخ اليونان .

مكتبتنا العربية

آخر فى الفهرست أو طبقات الأطباء ، أو كتب فلاسفة العرب يدل على أنهم عرفوا الحكماء السبعة . نقول : وليس فيثاغورس حكيما بل هو متأخر عن الحكماء السبعة ، وإليه يعزى القول « لست حكيما ولكنى مؤثر للحكمة » . والمؤثر الحكمة هو الفيلسوف . كأن الفلسفة فى اليونان نشأت فى أحضان الحكمة العملية التى جرت على لسان الحكماء السبعة .

ويختلف المؤرخون فى أسمائهم . وأقدم ثبت نعرفه هو ما سجله أفلاطون عنهم فى محاورة بروتاجوراس . وهم : طاليس ، وبياس ، وكلوبولس ، وخيلون ، وبتاقوس ، وسولون ، وميسون .

وذكر ول ديورانت فى كتابه « حضارة الإغريق » أن هرميبوس[1] قال : الحكماء السبعة يبلغ عددهم الحقيقى سبعة عشر ، لأن كل مدينة من مدن الإغريق كانت تصطنع حكيما وتذكر سبعة ، إلا أنهم اتفقوا على سبعة ، هم : طاليس من ملطية ، وسولون من أثينا ، وبياس من برين ، وبتاقوس من ميثيلين ، وبرياندر من كورنثة ، وخيلون من إسبرطة ، وكليوبوس من رودس .

وذكرهم ديوجين لايوس[2] فقال : طاليس ، سولون ، برياندر ، كلوبولس ، خيلون ، بياس ، بتاقوس . وهذا يشبه ما ذكره هرميبوس .

وأضاف ديوجين إلى هؤلاء السبعة المجمع عليهم عدداً من الأسماء ، منهم : أناخارسس Anacharsis ، ميسون ، فريسيدس Pherecydes ، إيبمنيدس Ebimenides ، بسستراتوس Pesistratus .

وقد ذهب بعضهم إلى أسماء أخرى ، إما بدافع الوطنية ، أو التحزب السياسى ، حتى لقد جمع ديوجين أسماءهم من شتى المصادر فبلغوا ثلاثة وعشرين .

والإجماع على أربعة منهم : طاليس ، وبياس ، وبتاقوس ، وسولون .

---

(١) هرميبوس Hermippus شاعر كوميدى معاصر لبركليس عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد

(٢) مؤرخ من لايرس فى صقلية . عاش فى القرن الثانى بعد الميلاد ، له كتاب سيرة الفلاسفة

مكتبتنا العربية

طاليس : فيلسوف طبيعى من مدينة ملطية ، وهو رأس الفلسفة الأيونية . عرفه العرب : ولن نطيل فى الحديث عنه .

بياس Bias من مدينة برين Priene على خليج ملطية فى غرب آسيا الصغرى ، وكانت مدينة مشهورة فى القرن السادس ، وازدهر فيها بياس ، واشتهر حول ٥٧٠ ق . م . وكان خطيباً أمام المحاكم فى أثينا . وأشار ديوجين إلى شهرته فى المحاكم . وكان نظام التقاضى فى أثينا على ضربين : الاحتكام إلى محكم يفصل بما يراه على هواه ، فإن لم يقبل المتخاصمان رفعا الأمر إلى ساحة القضاء . ولم تكن المحاكم تقبل القضايا الصغيرة أو تلك التى لم يفصل فيها بالتحكيم . وتقدم القضايا مدونة مسببة ، ويعتمد الخصم على محام يقنع المحكمة بزلاقة لسانه ، وحسن بيانه وقوة إقناعه ، وبراعته فى الخطابة . ومن أشهرهم بياس . له حكم تروى ، منها قوله : « من لم يصبر على الزمان عاش بائساً » .

بتاقوس Pittacus من جزيرة أوليا إحدى جزر لسبوس التى اشتهرت بالثروة والأدب . وفى الجزيرة خمس مدن أكبرها عدداً وأوفرها ثروة ميتلين Mytilene بسبب اشتغالها بالتجارة ، مثل : ملطية وساموس وإفسوس .

وفى آخر القرن السابع تحالفت طبقة التجار مع الشعب على الأشراف ، فانتزعوا منهم السلطة ، وسلموا زمام الحكم لبتاقوس ، ونصبوه حاكما مستبدا عشر سنوات ، فاجتمع له من السلطان ما يشبه ذلك الذى اجتمع فى يد صديقه سولون أحد الحكماء السبعة ، والمشرع المشهور المعروف .

ونسج التاريخ حول الحكماء السبعة كثيرا من الأقاصيص ، تجمع بينهم ، وتنطق الحكمة على لسانهم .

ويقال : إنهم قابلوا مجتمعين سبسيلوس فى رواية ، وبرياندر فى رواية أخرى ، وكروسس فى رواية ثالثة . وتمت هذه المقابلات فى دلفى .

وجعل بلوتارك من الاجتماع الذى وقع فى كورنثة برئاسة برياندر موضوعا للحوار .

ومن أشهر قصصهم تلك التى تحدثنا عن الكرسى الذهبى الذى استخرجه الصيادون من البحر ، ثم تنازعوا على امتلاكه ، فذهبوا إلى دلفى فأنبأتهم الكاهنة أن يكون من نصيب « أحكم رجل » . ودار الكرسى على جميع الحكماء ، ثم عاد إلى أبولون فى دلفى .

وهذا ما فعله سقراط فيما بعد حين سئل : ماذا يعرف ؟ فأجاب : إنى لا أعرف شيئاً .

ويقال : إن الحكماء السبعة عند زيارتهم دلفى وهبوه أول ثمار حكمتهم « اعرف نفسك » و « لا تسرف » . وقد دونتا بعد ذلك على باب المعبد .

ولا ريب فى أن هاتين الحكمتين من وضع الكهنة ، حتى إذا ما ارتفع شأن الحكماء السبعة فى العصور المتأخرة ، عزا الناس إليهم كل حكمة .

وقد تنسب بعض هذه الحكم المأثورة إلى واحد بعينه ، مثل « لا تسرف » فإنها تنسب إلى سولون ، واعرف نفسك » إلى خيلون أو طاليس .

ويصف أفلاطون حكمهم بأنها : أقوال قصار ، وعبارات موجزة .

وجمع فى القرن الخامس بعد الميلاد يوحنا ستوبايوس بعض هذه المأثورات المنسوبة إليهم ، وهى تدور حول الفضائل ، مثل ضبط النفس ، والأمانة ، والجد ، والصدق ، وطاعة القوانين ، واحترام الآباء .

ومن العسير نسبة كل حكمة إلى صاحبها .

يقال : إن برياندر صاحب القول المأثور « الشورى أفضل من الاستبداد » .

وكان الغرض من هذه الحكم هداية المواطن فى الحياة .

وقد أصبح للحكمتين المسطورتين على باب معبد دلفى أثر فى الفلسفة ؛ إذ أخذ سقراط « اعرف نفسك » وجعلها أساساً لفلسفته فى الفضيلة . وأخذ أرسطو حكمة « لا تسرف » وجعلها أساساً لفلسفته الأخلاقية فى أن الفضيلة وسط بين طرفين ؟

مكتبتنا العربية

جولة في ملكوت الله

الكلمة التي ألقاها فضيلة الأستاذ الشيخ محمود جميلة مبعوث الأزهر إلى العراق بقاعة فيصل بمناسبة الإسراء وأذيعت على الشعب العراقي

أيها السادة :

هذه ذكرى مجيدة نحييها ونحيها، لا مؤتسين ولا مقتدين ، ولا مبتدعين ولا مخترعين ؛ ولكنها تذكرة للذاكرين وتنبيه للغافلين ، فإن القلوب قد تحجرت والنفوس قد تمردت ؛ ولعلنا بذلك نحول الركب ونصحح الوضع، ونستميل الأفئدة اللاهية ، والعقول النائية ، إلى هذه المجالس النافعة ، نتذاكر فيها الله ، ونتحدث عن رسول الله . والحديث عن رسول الله حديث شهي ؛ لأنه حديث عن الحق ؛ حديث عن النور ؛ حديث عن العلم ؛ حديث عن العدالة والمساواة ؛ حديث عن العظمة الإنسانية التي لا تعتمد على منصب ولا جاه ، ولا ترتكز على مال وأهل .

أيها السادة :

لقد أسرى الله بعبده ونعم العبد ! أسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، فكانت رحلة بين حرمين ، وجولة بين مسجدين ، وسفرة بين قبلتين ، رافق فيها أمين أمينا، وصاحب فيها كريم كريما ، سارت النورانية الملكية في ركاب البشرية القدسية ، فكان من ذلك ركب الله ، يتوجه إلى الله ، لا في مكان محصور ولا في زمان مقدور ، ولم تكن الأرض إذ ذاك قد عرفت طائرة تقطع الأجواء ، أو قاطرة تنهب الغبراء ، ولكنها عرفت مَن أبدع الأرض والسماء ، وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى . فها هي ذي يد القدرة تحمل محمدا وركبه وتطوى بهم الفيافي والقفار وتتمثل العير ، وتعرض الصور أمام الحضرة النبوية ليرى الرسول الأمين في آيات ربه قيمة دعوته ، وخطر رسالته ، فيزداد رأفة على رأفته ، ورحمة على رحمته ،

مكتبتنا العربية

فيُلحف فى دعوته ، ويمعن فى حجته ، ويتفانى فى إنقاذ أمته : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم . فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » . وفى بيت المقدس ، وفى ثالث بيت من بيوت الله التى تشد إليها الرحال ، وفى القبلة الأولى التى بدأت عليها الأمة ـ كان استقبال محمد استقبالا باهرا معجزا ، سلم فيه العقل الحكم إلى النقل ، فهو وحده الفيصل ، ومنه نستمد الإيمان : « والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى » . وهنا تجلت الكرامات ، وبرزت المعجزات ، وأحيا الله الأموات وتقدم المصطفى على المصطفَين وبدأت رحلة جديدة لم تشهدها البشرية منذ هبطت البشرية ، لا من أرض إلى أرض ، ولا من شرق إلى غرب ، وإنما هى من أرض إلى سماء .

رحلة كرم الله فيها الوالد فى شخص ولده ، فكانت تتميما للنعمة وتأكيداً للتوبة ، ومظهراً من مظاهر الرضى . لقد هبط آدم من عليائه لما نسى العهد وفقد العزم ، فظمىء وجاع وعرى وشقى ، وكان له ألا يجوع ولا يعرى ، ولا يظمأ ولا يضحى ؛ وصعد محمد إلى السماء ، فكان ذلك رمزاً لرفعة البشرية بعد هبوطها ، وكمالها بعد ترجرجها .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

أيها السادة :

نزل آدم عليه السلام الى الأرض ، وصعد محمد الى السماء ، وكلاهما قد قطع أجواز الفضاء ، واجتازت طبقات الهواء ، وقدرة المصيطر على الوجود تولت آدم فى هبوطه كما تولت محمداً فى صعوده ، ولا خفة ولا كثافة أمام خالق الخفة والكثافة « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .

عرج برسول الله وتدرج فى مراتب الكمال ، وأخذ ينتقل فى المنازل ويسمو فى الدرجات ، وسط مهرجان تفضلت به العناية الإلهية ، شاركت فيه الأرض السماء ، والأموات الأحياء ؛ ولا زالت ترتفع به مكانته وتتقدم به منزلته ، حتى وقف كل مخلوق ، وتنحى كل مرموق ، ورفعت الأستار ، وتكشفت الأسرار ، وظهرت الأنوار ، وتجلى الستار ، وفنى الحبيب فى الحبيب ، وكان وعى وكشف ، وصحوة ويقظة ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى ، وما زاغ البصر

مكتبتنا العربية

وما طغى . وهنا رأى وسمع ؛ رأى آيات ربه الكبرى ، وسمع كلام ربه الأعلى، رؤية وسمعا يليقان بالتنزيه والتكريم ، ويناسبان التسبيح والتعظيم . عند ذلك أوحى الله لعبده بعد أن أسرى بعبده ، فنعم العبد ، ونعم المعبود ! تكريم لم يصبه مخلوق ، وتقديس لم يصل اليه موجود ؛ فهو وحده الذى حظى بالحضرة ، وتمتع بالنظرة ، فنسى مشاق دعوته ، وخلاف أمته ، فكان ترفيها وتخفيفاً ، وتحميداً وتقديسا .

أيها السادة :

فى هذا المقام الكريم ، وفى هذا الموقف الرهيب ، صدرت إرادة كريمة ، وأمر إلهى، بتكليف الأمة بالصلاة ، وهى الناهية عن الفحشاء والمنكر ، وهى عماد الدين، من أقامها فقد أقامه ، ومن هدمها هدمه ، فنالت الصلاة بذلك شرفا سبقت به غيرها من العبادات ، واعتزت به من بين سائر المأمورات . أفيليق بعبد مؤمن بالله ومصدق بمحمد بن عبد الله أن يضيع الصلوات ويتبع الشهوات ! اللهم إن ذلك هو الخسران المبين .

بعد هذا تحرك الركب آيباً بعد هذا التكريم ، وقافلا بعد هذا التعظيم، إلى مقره من البلد الحرام . فسبحانك اللهم سبحانك ! جلت قدرتك ، وعظم شأنك .

أيها السادة :

هذه منزلة رسولنا الكريم من رب العالمين ، فقد شرح الله صدره ، ووضع عنه وزره ، ورفع له ذكره ، وأيده بالمعجزات والخوارق ، وعلمه مالم يكن يعلم .

سيدى رسول :

قدمتك العناية الإلهية ، والرحمة الربانية ، إلى البشرية الضالة ، والإنسانية التائهة، بين أرباب متفرقة ، ونظم متخلخلة ، وأصول متداعية ، لتقيم من أركانها وترفع من قواعدها ، وتأخذ بيدها الى الطريق السوى ، قدمتك حراً طليقاً ترى الحق حقاً والباطل باطلا بصفاء فى نفسك ونور فى قلبك ، لم يغيره فيك قتامة محيطك ، وعتامة عصرك ، فقلت حقاً ، ونطقت صدقا ، وقد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ورسمت للناس طريق الحق ، فلا عذر لمعتذر ، ولا حجة لجاحد ، بل لله الحجة البالغة « ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة » .

مكتبتنا العربية

والآن وقد اجتمعنا لإحياء أعظم الليالى التى كانت لرسولنا الأكرم ، ونبينا الأجل ـ نضرع إلى الله العلى أن يوجه الأمة لإحياء سنته ، وتأييد دعوته ، ونشر دينه ، وبث تعاليمه . عند ذلك يعود لنا عز سُلبناه ، ومجد فقدناه ، وخلق جافيناه ، ويتحقق وعد الله « ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز » .

قبل أن أبرح مكانى هذا أتقدم إلى الشعب العراقى الكريم ، خصوصا الجمعيات الدينية ، بشكرى وشكر إخوانى على ما حبانا به هذا الشعب من صنوف الإكرام ، لا لأشخاصنا ، ولكن لمعهدنا العزيز الذى غالب الأيام فغلبها ، وصارع القرون فصرعها ، ثم هو يحمل مشعل الإسلام ويقوم بتبليغ الدعوة ، وهو مفتوح الأبواب لكل مسلم يريد أن يرتشف من حياضه ، وأن ينهل من مورده . وسنبلغ تحية أهل العراق إلى من بالأزهر جميعاً من المسلمين : سنبلغها الى العراقى والمصرى والسورى والأردنى والحجازى والهندى والصينى والعجمى والسومالى والسودانى والجاوى والسنغالى والمغربى ، والى غيرهم ممن غاب عن الذاكرة وند عن الحافظة ، كل أولئك يحلون به مكانا سهلا ومنزلا كريماً . أمد الله فى حياة من يمد فى حياة الأزهر ، ووفق المسلمين للعمل بدينهم واتباع سنة نبيهم ؟

جود عبيد الله بن عباس

كان من مشهورى الأجواد ، قيل : إنه أتاه رجل وهو بفناء داره ، فقام بين يديه ، فقال : يا بن عباس إن لى عندك يداً ، وقد احتجت إليها ، فصعّد فيه بصره وصوبه فلم يعرفه ، ثم قال له : مايدك عندنا ؟ قال : رأيتك واقفاً بزمزم وغلامك يمتح لك من مائها ، والشمس قد صهرتك فظللتك بطرف كسائى حتى شربت . قال : إنى لأذكر ذلك وأنه يتردد بين خاطرى وفكرى ، ثم قال لقيمه : ماعندك ؟ قال : مائتا دينار ، وعشرة آلاف درهم . قال : ادفعها إليه ، وما أراها تفى بحق يده عندنا . قال : فأعطاه ثلاثين ألفاً . فقال له الرجل : والله لو لم يكن لإسماعيل ولد غيرك لكان فيه ما كفاه . فكيف وقد ولد سيد الأولين والآخرين محمداً صلى الله عليه وسلم ، ثم شفعك به وبأبيك .

مكتبتنا العربية

الدنيا والدين

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد عبد التواب
مفتش الوعظ بالأزهر

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن الله عز وجل يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطى الدين إلا من أحب ، فمن أعطاه الدين فقد أحبه ، والذى نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يؤمن جاره بوائقه ، قلت : يا رسول الله وما بوائقه ؟ قال « غشمه وظلمه ، ولا يكسب مالا من حرام فينفق منه فيبارك فيه ، ولا يتصدق به فيقبل منه ، ولا يتركهُ خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، إن الله لا يمحو السيء بالسيء ، ولكن يمحو السيء بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث » .

فى وضع هذا النور المحمدى الذى يشع من حديثه صلى الله عليه وسلم ، يجلى لنا الصادق المصدوق من جمال هذا الدين ، وسماحة تعاليمه ، وجلال توجيهه ، ألوانا صادقة من حسن الخلق ، وسلامة القلب ، وعفة اللسان ، وكف الأذى ، والتورع عن الكسب الحرام : كما يجلى لنا صلى الله عليه وسلم من نواحى الافتتان بالدنيا تملك الغرور للنفس ، والشره فى جمع المال ، والعمل على إنمائه من الكسب الخبيث ، ومرض القلب بما يكمن فيه من أدواء الحقد والضغينة ، وبذاءة اللسان ، وما تجر اليه من أذى ، وتطاول ، وزور ، وبهتان . ثم يوجه النبى صلى الله عليه وسلم أمته الى ملاحقة السيئة بالحسنة ، لتُذهب من ظلمتها ، وتطهر من خبثها .

ولقد بين هذا الحديث الشريف أن الذى منحه الله نعمة الدين ، فقام فى نطاق حدوده وأحكامه ، يهذب نفسه ، ويحترم غيره ، ويرعى حرمات الناس ، فذلك هو الذى أحبه الله .

مكتبتنا العربية

أما نعمة الدنيا من مال ، أو جاه ، أو منصب ، أو قوة ، فإن الله تعالى يعطيها من يحب ومن لا يحب .

يعطيها من يحب : ليزداد المحبوب بها شكراً لله ، واستجابة لأمره ، وامتثالا لنهيه ، فيبذل صاحب المال من ماله ، ويبذل صاحب الجاه من نفسه ، ويعدل صاحب المنصب فيما يقوم عليه ، ويروض صاحب القوة نفسه على لين الجانب وخفض الجناح .

ويعطى الله هذه النعم فى الدنيا لمن لا يحب : استدراجا منه تعالى لهؤلاء الأئمة المستكبرين ، فيزداد جامع المال حرصاً وشرهاً ، ويطغى صاحب الجاه كبراً وصلفاً ، ويتعدى صاحب المنصب حواجز العدل والرحمة ظلماً وعدواناً ، ويبطش صاحب القوة بالضعفاء تجبراً وقسوة ؛ وكذلك كل من أوتى نعمة الله فلم يصنها ، ومُنحها فلم يشكرها ، أفسح الله له فى مجال نعمته ، حتى يكون أخذه أليما ، وعذابه شديداً . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم الله يعطى العبد ما يحب ، وهو مقيم على معصيته فذلك منه استدراج » ثم تلا قوله تعالى « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذاهم مبلسون » .

والإبلاس : هو الحزن المفاجىء من شدة اليأس ، ثم يبين الرسول صلى الله عليه وسلم بياناً مؤكداً بالقسم بالله الذى نفسه بيده : أن الإسلام ليس بالدعوى تُدعى ، ولا بالكلمة ينطق بها المسلم ؛ ولكنه سلامة القلب ، وسلامة اللسان .

فالقلب الفاجر ، والنفس المظلمة ، والجوارح التى تجترح الآثام والمنكرات ، لا تكون عنواناً على الإسلام .

واللسان المندلع بنار الشر ، فى الوقيعة ، والزور ، والغيبة ، والنميمة ، والكذب ، والأذى ، لا يكون لسان مسلم يخشى الله ويرعى حدود الله .

كما أن من يدعى الإيمان ولا يأمنه حتى أقرب الناس اليه وهو جاره ، بل يلحقه منه الظلم والطغيان ، والغشم والسفه ـ لا يكون مستجيباً لأمر الله ، ولا موسوما بعلامة المؤمنين .

مكتبتنا العربية

والكسب الحرام يفرح به من يغتر بالعرض الزائل ، ويتخذه مغنما ، غير متورع عن رشوة مضللة ، أوغش يغبن به الناس ، أويمين فاجرة يروج بها سلعة ، ولا والله لا يتذوق بهذا المال الحرام إلا مرارة وحرارة : مرارة من كراهية الناس ، وحرارة من عذاب الله ، ولن يجد فيه بركة الإنفاق ، ولايتذوق منه حسن التقبل ، ولا يجمع به إلا وقود التهلكة فى سخط الله وسوء المنقلب ! .

أما بعد .

فليس لهذا الدين الا البر والمرحمة ، وليس لسعادة الدنيا إلا أن نخضعها للحق ، يرضاه الله ، وتطمئن به النفس ، ويحبه الناس .

وليس لمتع الحياة فى غير هذا النطاق الذى شرعه الله جمال ، ولا حسن ، ولا بقاء ؛ ولكنه الفضل ، والجلال ، والجمال ، والعزة ، لمن استجاب لله ، واتقى وصدق بالحسنى ، « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

حلم معاوية

قال معاوية لأبى الجهم العدوى : أنا أكبر أم أنت ؟ فأجابه لقد أكلت فى عرس أمك يا أمير المؤمنين . قال معاوية : عند أى زواجها ؟ قال عند حفص بن المغيرة .

فقال معاوية : يا أبا الجهم إياك والسلطان ، فإنه يغضب غضب الصبى ، ويأخذ أخذ الأسد . وأبو الجهم هذا هو الذى قال فى معاوية :

نغضبه لنخبر حالتيه ... فنخبر منهما كرما ولينا
نميل على جوانبه كأنا ... نميل إذا نميل على أبينا

وقدم عقبة الأزدى على معاوية ودفع إليه رقعة فيها هذه الأبيات :

معاوى إننا بشر فأسجح ... فلسنا بالجبال ولا الحديد
أكلتم أرضنا فجردتموها ... فهل من قائم أو من حصيد
أتطمع بالخلود إذا هلكنا ... وليس لنا ولا لك من خلود
فهبنا أمة هلكت ضياعا ... يزيد أميرها وأبو يزيد

فدعا به معاوية وقال : ما جرأك على ؟ قال نصحتك إذ غشوك وصدقتك إذ كذبوك . فقال له معاوية : ما أظنك إلا صادقا وقضى حاجته .

ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبد المنعم خفاجى

المدرس بكلية اللغة

فى ظلمات من الجهل ، وحيرة فى العقول ، وفوضى لا مثيل لها فى الحياة : ولد محمد صلوات الله عليه فى مكة ، كما يولد الهلال الذى تسير به دورة الايام فيصبح بدرا منيرا .

ونشأ فى بيئة جاهلية ، لاتعرف لونا من ألوان المعرفة أو النظام أو الحضارة ، ولا تؤمن بمبادىء حق أو خير أو حرية أو مساواة أو إخاء .

وأنكر محمد فى طفولته وشبابه ما تعارف عليه قومه من عقائد وأوهام ، وتقاليد وعادات وأخلاق ونظم : لأنها جميعها تنكر الله ، وتنكر المعانى الفاضلة والمثل العليا فى الحياة ، وتسير بالجماعة إلى الفوضى والهمجية ، أو قل إلى الفناء والانهيار ، فلا تعرف دعوة حق ، ولا تؤمن بفضيلة إنسانية ، ولا تقدس إلا العصبية وحب الدماء وصدع الشمل : ثم سافر الى الشام حيث رسالة المسيح لابد أن تكون قد عملت عملها فى تهذيب شعب المسيح ، فرأى ويا لهول ما رأى : رأى التوحيد ينقلب شركا ، والدين يستحيل عصبية حمقاء تسرف فى البطش والانتقام ، والرحمة التى دعا اليها المسيح تصير ضعفا وهوانا عند قوم ، وبغيا وعدوانا عند آخرين .

رثى محمد لهذه الإنسانية المعذبة ، وسار فى حياته على مثال رفيع فى الخلق والآداب وصلته بالمجتمع ، وأخذ يتطلع بصره فى حيرة الى هداية السماء لتنقذ البشر من حياتهم : حياة الهمجية ، والاستبداد والطغيان ، والظلم والفوضى .

مكتبتنا العربية

وفى لحظة رهيبة خالدة فى تاريخ الإنسانية نزل عليه الوحى برسالة من السماء ، ليبلغها الناس كافة ، وليستقيم بها ما اعوجّ من أمور البشر وحياتهم وعقائدهم .

وبعد قليل كان محمد قد وأد الوثنية فى جزيرة العرب ، ونشر مكانها التوحيد والحرية والحق والأخاء والمساواة ، وبدأ يصبغهم بصبغة جديدة من ألوان الحضارة ومظاهرها ، وأخذت تنمو هذه الصبغة حتى صارت مدنية زاهرة فى دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة ، وشتى عواصم العالم الإسلامى التى كان يشع منها نور الحضارة والمعرفة والرقى ، وهكذا صدقت نبوءة المسيح « عندما يأخذنى الله من العالم ، سيثير الشيطان مرة أخرى هذه الفتنة الملعونة ، بأن يحمل عادم التقوى على الاعتناق بأنى الله وابن الله ؛ فيتنجس بسبب هذا كلامى وتعليمى ، حينئذ يرحم الله العالم ، ويرسل رسوله الذى خلق كل شىء لأجله ؛ الذى سيأتى من الجنوب ، وسيبيد الأصنام وعبدة الأصنام ، وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر ، وسيأتى برحمة الله »[1] « ويعلم العالم بأسره لأنه هكذا وعد الله آبانا إبراهيم »[2]

ولقد كان ميلاد محمد صلوات الله عليه بحق ميلاد الحرية والأخاء والمساواة والحضارة ، وشهد بذلك المفكرون فى الغرب :

قال « كاين تيلر » : الإسلام أفاد التمدن أكثر من النصرانية ، ونشر علم الأخاء والمساواة » .

وقال « بوسورث سميث » : كان محمد موفقا توفيقا فريدا فى بابه ، لم يحدثنا التاريخ عن مثله ؛ فجمع بين زعامات ثلاث : هى زعامة الشعب وزعامة الدين وزعامة الدولة ، وبرغم أنه كان أميا ؛ فقد جاء بكتاب جمع بين البلاغة والتشريع والعبادات ، هو الآن موضع احترام أكثر من سدس العالم ؛ كمعجزة هى دليل العقل والحكمة أكثر من أى معجزة غيرها » .

وقال اللورد « هدلى » : « رسالة محمد رسالة إلهية صادقة لاريب ، فيها هدى

(١) الفصل السادس والتسعون من انجيل القديس برنابا أحد الحواريين وهو أقرب الأناجيل إلى الصحة .

(٢) الفصل السابع والتسعون من المرجع نفسه .

للمتقين أوحى الله بها إليه ، فجاءت مخففة لصرامة أحكام التوراة ، مكملة لكتاب المسيح . كان محمد داعياً إلى الرحمة والعدل ، والكرم والشجاعة ، والصبر على المكاره والصدق ، يعتقد أن الدين هو أقرب الأشياء إلى العقل وإلى الطبيعة ، وأن الإنسان ما هو إلا مظهر من مظاهر الله ؛ وكان محمد غيوراً متحمساً ، وكانت غيرته وتحمسه لغرض نبيل ومعنى سام » .

وسوى ذلك من شهادة « توماس كارليل » و« تولستوى » و« جوته » وسواهم من أفذاذ الفكر الأوروبى الحديث .

قامت على مبادىء محمد صلوات الله عليه دولة عظيمة لم تكن الشمس تغيب عنها ، ونمت على أساسها حضارة مشرقة لا زالت محل إعجاب الباحثين والمفكرين ، وهى نواة الحضارة الأوروبية الحديثة ، ولها الفضل كل الفضل فى نقل أقطار الأمم القديمة : من هنود ، وفارسيين ، وصينيين ، وإغريقيين ، ورومانيين ، ومصريين إلى العالم الحديث ؛ ولولا مجهود المفكرين المسلمين : لضاعت آثار المدنيات والحضارات القديمة وعلومها ومعارفها .

قامت هذه الدولة وتلك الحضارة ، على المعرفة والحرية ؛ وعلى الديمقراطية النبيلة التى بلغت على يد الفاروق عمر ، أسمى ما تبلغه الإنسانية الراقية ، وقامت على تقديس حرية الفكر والرأى والعقيدة ، حتى لقد تجاورت الأديان الثلاثة فى أملاك إمبراطورية المسلمين ، فلم نسمع إلا عدلا ورحمة ، وتعاوناً وحباً ، وتقديساً لحرية الدين والعقيدة .

والتسامح الدينى ، واحترام أهل الديانات السماوية الأخرى أمر ظاهر واضح فى حياة الرسول وخلفائه ، فلقد أمّن محمد صلوات الله عليه نصارى نجران على حرياتهم الدينية ، كما فعل الفاروق مع نصارى الشام ، إلى غير ذلك من الشواهد والمثل .

ومبادىء محمد ودعوته ورسالته إن هى إلا صدى لهذا الدستور الخالد والكتاب الحى الباقى والقانون السماوى الأعظم ، القرآن الكريم .

وتقرأ فى القرآن فتجد حربا لاهوادة فيها على الشرك والوثنية ، وتحريراً للعقل الإنسانى من أوهام التعصب والجمود والضلال ، وإيمانا لا يشوبه شك بقيمة المعرفة والثقافة ، وغرساً للفضائل الإنسانية ، والمثل العليا فى نفوس الناس

كافة ، ومحاربة للرذائل والمنكرات والشرور والآثام والفوضى الإجتماعية فى كل شىء وكل ناحية .

وتجد فيه إيقاظا للضمائر ، وإحياء للنفوس ، وبعثاً للفكر البشرى من رقدته ، وتجد فيه ثورة على الطغيان والاستبداد ، وعلى التعصب للأفكار الخاطئة ، والمبادىء الضالة ، والعصبيات الجائرة .

وتجد أول هدف له هو نشر التعاون بين البشر جميعاً ، فلا فرق بين جنس وجنس ، ولا فضل لأمة على أمة أو قبيلة على قبيلة أو إنسان على إنسان ، إلا بالأخلاق الكريمة ، والأعمال الصالحة ، وتقوى الله وطاعته ، والناس كلهم من أصل واحد وأب واحد « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا : إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ؛ وهكذا قبر الإسلام ورسوله الجمود والتعصب القبلى والوطنى المحدود ، وأحل محل ذلك الإنسانية والعالمية ، بأوسع معانيها ، ولقد بدأت أوربا بعد أن ضلت الطريق تعمل لهذه الغاية التى عمل لها الإسلام منذ أربعة عشر قرنا من الزمان .

ووضح القرآن صلة الإنسان بربه ، وشرع له العبادات والطاعات التى تقربه إلى الله ، كما وضع النظم المثلى التى تسير عليها الأسرة والمجتمع والامة والإنسانية لخير الحياة والحضارة والبشرية والناس كافة .

وهكذا غرس محمد صلوات الله عليه بيديه الكريمتين شجرة الحرية والتعاون والزمالة الإنسانية والمساواة والأخاء ، ووضع أساس حضارة روحية من أعظم الحضارات التى شهدها التاريخ ، وعاش فى ظلها العالم أجيالا وقرونا ينعمون بعدلها وحكمتها ، ويُغَذُّون أنفسهم بمبادئها وأفكارها وثقافتها ، ويشاهدون آثارها الخالدة فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والآداب والفنون .

وهل الحضارة إلا آثار الرقى الإنسانى ، ومظاهر التقدم البشرى فى شتى نواحى الحياة ؟

وإذا قست ذلك بآثار محمد ورسالته فى الحياة على الناس والإنسانية كافة ، وجدت أياديه العظيمة ، لا يكاد يعيها العد ، وتنوه الحياة بدين محمد الفادح عليها ، ويبهتُ الفكر حين يجد أن هذا الأمىّ العربى قد بَدَّل سَيْرَ التاريخ ،

وحوّل مجرى الحضارة ، ويقف العقل والبيان حائرين لايدريان كيف يشكران فضل هذا الرسول العظيم .

إن ميلاد محمد ميلاد الحضارة ، وبحق ما أقول : فلم تكن الحضارات القديمة : من صينية ، وهندية ، وفارسية ، وفرعونية ، وإغريقية ، ورومانيه إلا جسما خالياً من الروح ، وبدءَ نواة لحركة التقدم والرقى الإنسانى ، فالتقدم فى ناحية يقابله ضعف غريب فى نواح ، فالمرأة فى الحضارة الرومانية كالرقيق تباع وتشرى ، والحاكم فى شتى هذه الحضارات هو المالك للدولة ، ومرافقها ، ومواردها وللرعية نفسها ، حتى لقد قال ملك مصر : « أنا ربكم الأعلى » ؛ على أن هذه الحضارات مع ماقامت عليه من شتى المبادىء والأسس والنظم الخاطئة ، لم تستطع أن تحارب الجهل والفقر والهمجية والوثنية إلا فى بقع صغيرة محدودة ، أما أغلب أرجاء العالم فكانت تعيش فى ظلام دامس ، وضلال شامل ، وخوف مفزع ، وفقر مدقع ، ووحشية قاسية ، وفى ظل تقاليد وعادات ونظم شبيهة بشريعة الإنسان الأول ، الذى لم يعرف للحياة معنى ، ولا للثقافة والعدل والحرية قيمة .

أما الحضارة الإسلامية التى غرسها محمد ، فقد نظمت الحياة فى كل ناحية من نواحيها ، وهذبتها ، وسارت بالإنسانية إلى غاياتها النبيلة ، ومثلها الرفيعة ، وحررت الفكر الإنسانىّ من قيوده وأوهامه . وامتازت بروحانيتها المشرقة ، وإيمانها المطلق بمبادىء الخير ، واشتراكيتها العادلة التى جعلت الفقير أخا للغنى والغنى أخا للفقير ، والتى ساوت بين شتى الطبقات والجماعات والعناصر .

فأين هذا من حضارة الغرب التى حاربت الحق والعدل ، وجعلت بعض الشعوب قواما على الآخرين ، ونشرت أفكار الاستعمار والأثرة والأنانية ، وعددت ألوان الخصومات والخلافات بين الناس ، وأشقت الإنسانية بما افتنت فيه من ابتكار وسائل التدمير والإهلاك ، وبما سارت عليه من شنّ الحروب المروعة كل حين على نظام لم تر العين أفظع منه ؟ .

وأين هذا من حضارة الغرب بماديتها الظالمة وتفرقتها بين الألوان والأجناس ، وقتلها للشعوب المتأخرة أدبيا وماديا وروحيا ، لتبقى إلى الأبد مستعمرة ذليلة ؟

اللهم إن محمدا قد شرع للحياة والحضارة والإنسانية أعظم ما عرف من نظم ، وأسمى ما شوهد من تشريع ، ولكن الناس ضلّوا سبيلك ، وكفروا بدينك ، وآثروا متعة اليوم على سعادة الأبد .

مكتبتنا العربية

قوانين الفكر الضرورية

لحضرة الأستاذ سعيد زايد

الفكر هو أجل موهبة وهبنا الله إياها ، والذى به يمتاز الانسان عن غيره من من أنواع الحيوان ، وهو الذى تتشكل به حياة الانسان فى جميع نواحيها العلمية والعملية ، ولقدقال علماء النفس : إن التفكير فى الانسان طبيعى كالغريزة . ولكن ليس معنى هذا أنه متساو فى جميع الأفراد والجماعات ؛ فهو يختلف تبعا لاختلاف درجة التمدين والحضارة .

والفكر هو العمل العقلى الذى به نكتسب العلم . والغرض الأسمى من التفكير هو الوصول إلى الحقيقة بطريقة منطقية ، والمنطق كما هو معروف عبارة عن مجموعة قواعد ، مثل : قواعد الرياضة ، ولذلك أفرغ علماء المنطق تلك القواعد فى مجموعة أبسط منها ، وسموها بالقوانين الأساسية أو الضرورية للتفكير ، وهى عبارة عن ثلاثة قوانين سنتكلم عنها فيما يلى

١ — قانون الذاتية

ويمكن وصفه فى عبارة « ا هى ا » أى أنه أثناء إثبات أى برهان نستعمل كل لفظ فى معنى واحد لايتغير ، ومن هنا جاءت تسمية العرب له بقانون «الهوهوية» . ولكن لا توجد هناك أدنى صعوبة فى فهم قضايا مثل « ا هى ا » أو « ب هى ب » ومثل هذه القضايا لا يفيد حكما على الإطلاق ؛ لأنه إذا كان معنى « ا هى ا » عدم وجود اختلافات مطلقة بين جانبى هذا الحكم ، فهذا لايفيدنا بشىء ما ، ويجب ألا نقبله بحال . فهو كما يقول العلامة هيجل ـ بحق ـ مخالف لشكل الحكم وذلك لأنه يعنى أنه يقول شيئا ، وهو فى الحقيقة لايقول شيئا ما . وفى الواقع أنه لايثبت الذاتية

مكتبتنا العربية

لأن الذاتية إذا خلت من عناصر الاختلاف ، فلا يكون لها معنى على الاطلاق ، فلا يمكن أن نقول عن شيء أنه هو هو شيء آخر ، فلا بد إذن من وجود عناصر تغير فى نفس هذا الشيء ، أو أن نبحث فيه من ناحية اختلاف خاصة ، وبناء عليه استبدلت الصورة التى وضعها العلامة ليبنتز ، والتى أشرنا اليها قبلا وهى « ا هى ا » بصورة أخرى هى « ا هى ب » وهى التى يستعملها أغلب المناطقة ، فنقول مثلا « الذهب أصفر » ولا نعنى بهذا أن كل الأشياء التى تحمل اللون الأصفر تسمى ذهبا ، ولا نعنى كذلك أن الذهب هو كل أصفر . والمراد بعبارة « ا هى ا » هى أن نفهم « ا » على أنها قضية أو حد له مفهوم ، ويحسن أن نفسر هذه العبارة باعتبار تطبيقها على حدود قضية ، فالإنسان إذا فكر فى شيء ما ، إما أن يكون هذا الشيء متمايزاً عن شيء آخر أو مشتركا معه فى بعض الصفات ، وفى حالة اشتراكه فى جميع الصفات لابد أن يختلف عنه فى صفتى الزمانية والمكانية ، فالذاتية الخالصة لاتوجد إذن بل توجد هناك أشياء متشابهة فى بعض الصفات أو جميعها ما عدا صفتى الزمانية والمكانية ، وهما اللتان يعوّل عليهما فى التفرقة بين الشيئين .

والذاتية فى الحكم تعنى أنه إذا كانت القضية صادقة ، ظلت على الدوام صادقة ، وإذا كانت كاذبة ظلت على الدوام كاذبة : فقولى مثلا إن طربوشى لونه أحمر ، لا يمكن أن يأتى يوم يكون طربوشى فيه أبيضاً ، وذاتية الحكم هو المعتبر عند جمهور المناطقة الحديثين . ولقد قال العلامة برادلى « إنه إذا صدق الحكم ظل على الدوام صادقا ، وإذا كذب ظل على الدوام كاذبا ، فإن الحقيقة مستقلة ليست عنى لحسب : بل عن كل تغير وكل أمر عرضى ، وليس فى الإمكان أن يحدث أى تغير فى الزمان أو فى المكان تغيراً فى صدق أو كذب الحكم » .

فالحكم فى القضية يشير إلى حقيقة من الحقائق ، وهو إما أن يكون صادقا أو كاذبا ، ومحتويات هذا الحكم تكون ثابتة غير متغيرة : لأنه يتضمن الحقيقة ، فيصبح بذلك تفكيرنا صحيح ، ويكون قانون الذاتية مبدأ أساسيا للمنطق الذى هو علم التفكير الصحيح . وإذا داخلنا الشك فى صحة خطوة واحدة من خطوات التفكير : فإن محتويات هذا الحكم تتغير ، وعليه فإنه يمكن القول إنه لا يمكن التسليم بحكم وإنكاره فى وقت واحد ، أو إنه لا يمكننا إثبات حكم ونفيه فى آن

مكتبتنا العربية

واحد ، وإذا قلنا كذلك نكون قد عبرنا عن قانون الذاتية بقانون التناقض ، هذان القانونان المتكاملان الذى يعبر أحدهما عن الناحية الإيجابية من القضية ، والثانى عن الناحية السلبية ، الأول ينص على أنه اذا كان الحكم صادقا ، كان صادقا واذا كان كاذبا كان كاذبا ، والثانى ينص على أنه لا يمكن أن يكون الحكم صادقا وكاذبا فى آن واحد ، فالمعنيان متكاملان إذا خطر ببال الانسان المعنى الأول ؛ خطر بباله المعنى الآخر أيضا .

ولقد قال العلامة « سيجوارت » : إنه من الأفضل أن نعرف هذا القانون بأنه القائل بوحدة الحكم فى القضية ، أى أن الحقيقة شىء واحد ثابت لا يتغير .

ويرى العالم « ميل » أن الحقيقة الواحدة يمكن أن يعبر عنها بعبارة مختلفة ، ويقول فى ذلك عبارته المشهورة « إن الحقيقة التى تبدو فى عبارة ما ، هى نفس الحقيقة التى تبدو فى عبارة غيرها تحمل نفس المعنى »

وميل بعبارته هذه يؤكد الناحية اللغوية من القضية ، فلا عبرة عنده بالألفاظ ، فالحقيقة الواحدة يمكن التعبير عنها بعبارات مختلفة فى لغات مختلفة .

٢ — قانون التناقض .

وهذا القانون يشرح العلاقة بين حكمين ، لا يصدقان معاً ، ولا يكذبان معاً ، أو على الأصح إن هذا القانون يقرر العلاقة بين حكمين لا يصدقان معا ، لأن الذى يقرر العلاقة بين حكمين لايكذبان معا هو قانون الامتناع . وقانون التناقض فى تقريره العلاقة بين حكمين لا يصدقان معا يكون دقيقا وقريبا جداً من طبيعة الفكر ، لأنه لايثبت شيئا إلا إذا صاحب هذا الإثبات إنكار شىء آخر . أى أن الشىء لايكون موجوداً ولا موجوداً فى آن واحد ، أو أن محمداً لايكون موجوداً ولا موجود فى وقت واحد ، فإذا كان موجوداً فى الحجرة مثلا ، لابد أن يكون غير موجوداً فى الشارع ، وقولنا فى « وقت واحد » تدل أكبر دليل على أن التناقض لا يكون تناقضا بالمعنى الصحيح إلا إذا اتحد الموضوع والزمن فى القضيتين .

ويقول العلامة « هاملتون » إن قانون التناقض هو أساس النفى المنطقى ، وذلك لأنه استعمله ، وأراد أن يظهر به أهمية النفى ، ويجعل هذا العلامة قانون التناقض ضروريا بجانب قانون الذاتيه ؛ لأنه يعصم الذهن من الوقوع فى الخطأ ، ويقول إن إنكار

مكتبتنا العربية

قانون التناقض هو سبيل الوقوع فى الخطأ . ويقول العلامة « سيجوارت » إن قانون التناقض - ولو أنه يقول إن القضيتين المتناقضتين لا تصدقان معا - يصدق فى القضية الواحدة ، مثال ذلك ا لا يمكن أن تكون لا ا فى القضية الواحدة إلا إذا نظرنا إليها من ناحية أنها تخالف ا .

وقال العلامة ميل : إن هذا القانون مكتسب من التجربة لأنه يعتقد أن النفى والإثبات حالتان تتوالدان فى العقل من التجارب والمشاهدات ، فالإنسان مثلا يشاهد فى تجاربه الشيء ونقيضه أو ضده ، فهو يشاهد النور والظلمة أى لا يدرك النور إلا إذا أدرك الظلمة ، ولا يدرك الغنى إلا إذا أدرك الفقر ، أى أنه يدرك الأمور الإيجابية والسلبية ، وبهذا الادراك يكون فكرة عن المتناقضات وهى ما يسميها ميل بقانون التناقض .

إلا أن الأستاذ الدكتور أبو العلا عفيفى يرى أن فى رأى العلامة ميل هذا شيئا من الضعف أو الخطأ ويوجه إليه اعتراضين .

الاول : إذا سلمنا مع ميل بأن أساس قانون التناقض قائم على طبيعة الحكم ، فبما أن غاية كل حكم هى الوصول إلى الحقيقة والصدق ، وتأييد صدق القضية يتطلب نفى نقيض لها ، يترتب على ذلك أن نكون قد خرجنا بالنفى والإثبات من عملية عقلية بسيطة دون وجود أى تعميم ألبته .

الثانى : وله ناحيتان ، أولا كون العقل - معتمدا على الخبر - لا يدرك الشيء إلا إذا أدرك نقيضه ، هذه مسألة من مسائل علم النفس . ثانيا : أن ميل قد خلط بين قوله إن العقل لا يستطيع ادراك النور إلا إذا أدرك الظلمة ، وبين قوله إنه لا يمكن أن تكون الحجرة مضيئة ومظلمة فى وقت واحد .

٣ — قانون الامتناع :

وهو الذى يقول : إن القضيتين المتناقضتين لا تكذبان معا ، ولما كان قانون التناقض يقول : إن القضيتين المتناقضتين لا تصدقان معا ، فإنه يظهر من ذلك أن القانونين متكاملان .

مكتبتنا العربية

وهذا القانون يمنع وجود حد وسط بين حدين متناقضين ؛ فمثلا أبيض ولا أبيض لا يوجد بينهما حد وسط ، فالقضية إما أن تكون صادقة أو كاذبة ولا يوجد حد وسط بينهما .

وينظر العلامة «سيجوارت» إلى قانون الامتناع ، كقانون يعتمد على قانون التناقض ، وقانون النفى الثانى الذى يقول إن نفى النفى إثبات ، فانكارنا لنفى محمول ما عن موضوع ذلك المحمول يساوى إثبات هذا المحمول نفسه لهذا الموضوع نفسه والاستنتاج يتبع كالآتى :

ا التى تساوى ب هى حـ ، آ التى تساوى ب هى حـ .

فقانون التناقض يقول : يكذب إحدى هاتين القضيتين ، لأننا نرى أنه فى حالة إثبات القضية الأولى إنكار للثانية ، وفى حالة إثبات الثانية إنكار للأولى . وحسب قانون الامتناع نرى أنه فى حالة إنكار القضية الأولى إثبات للثانية ، وفى حالة إنكار الثانية إثبات للأولى . وهذه الحالة الأخيرة تتبع قانون النفى المزدوج . وهنا يظهر مبدأ العلامة سيجوارت للنفى المزدوج بوضوح هذا المبدأ الذى يبدو أثره واضحا فى استنتاج قانون الامتناع .

ولكن بعد كل الذى ذكرنا ، نريد أن نتساءل ، هل من ضرورة لقانون الامتناع ؟ ادعى بعض المناطقة عدم ضرورة هذا القانون للأسباب الآتية :

١ — إنهم خلطوا بين النقيضين والضدين ، فقالوا : إن هناك حد وسط بين أكبر وأصغر ، وهذا مسلم به فى قانون الامتناع ولكن الذى لا يمكن أن نسلم به هو وجود حد وسط بين أكبر ولا أكبر ، فهم لم يدركوا العلاقة بين أكبر وأصغر ، هل هى علاقة تضاد أم هى علاقة تناقض . ولهذا السبب ينبه العلامة «هاملتون» الى أن القضيتين المتناقضتين يجب أن تتقابلا فى الكم والكيف معا ، وليس فى الكم فقط حتى تتلافى الأخطاء والاختلاط الذى طالما يوقعنا فيه قانون الامتناع .

٢ — بلغ بهم أنهم توهموا وجود حد وسط بين النقيضين ، كأن نقول مثلا فى حالة طالب ، إنه راسب أو غير راسب قبل ظهور النتيجة وحكمها على الطالب

مكتبتنا العربية

بالرسوب أو غير الرسوب ، ولكن ظهور النتيجة ليس له أى علاقة ، فراسب وغير راسب لا يوجد بينهما حد وسط .

٣ — قد يقع إبهام فى اللغة نفسها ، فيخيل أن لفظين من الألفاظ متناقضين فى حين أنهما غير متناقضين : فمثلا أبيض ، ولا أبيض أحيانا نفهم أن لا أبيض معناها أسود ، فيوجد حد وسط بينهما ، أما أبيض ولا أبيض فلا يوجد بينهما حد وسط مطلقا .

يتبين إذن أنه يجب أن تفرق بين المتضادات والمتناقضات لمنع الوقوع فى الخطأ . بقى أن نقول : إن العلامة ميل يقول : إن قانون الامتناع لا يتحقق إلا فى حالة واحدة ، وهى الحالة التى يكون فيها الحمل معقولا ، فاذا لم يكن معقولا : كقولى الفضيلة تتمدد بالحرارة مثلا فان قانون الامتناع لا يسرى .

وبعد فهذا عرض مختصر لقوانين الفكر الأساسية أو الضرورية ، يظهر منه أنها مترابطة تمام الترابط ، أى لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر بأى حال من الأحوال . فقانون الذاتية ، وقانون التناقض متكاملان ، لا يفهم أحدهما بدون الآخر ، ويمكن النظر إليهما باعتبارهما حالتى الإثبات والنفى لقضية واحدة ، وقانون التناقض والامتناع ، يكمل أحدهما الآخر أيضاً أى أن هذه القوانين الثلاثة متكاملة .

وأخيراً يتبين من عرضنا أن هذه القوانين أساسية لدرجة أننا لا نستطيع أن نخطو أى خطوة فى التفكير بدون افتراض صحتها ، ولقد اعتبرها بعض المناطقة أساساً لكل استدلال منطقى ، وتظهر قيمتها فى الاستدلال الآتى ، وهو الحكم على الكلى بالحكم على الجزئى ، مثل قولنا : كل إنسان فان ، ومحمد إنسان إذن محمد فان . فالإنسان حد وسط نستطيع بالحكم عليه بالفناء الحكم على محمد بالفناء . وكلمة « الإنسان » يجب أن تكون هى هى فى كلتا الحالتين ، ولو كانت بالقضية الأولى غيرها فى الثانية لا يصح الاستدلال ، مثل قولنا : كل معدن عنصر بسيط ، والنحاس الأصفر معدن ، إذن النحاس الأصفر عنصر بسيط . فهذا خطأ لأن معدن فى المقدمة الأولى ليست معدن فى المقدمة الثانية ؟

محاضرات في الأزهر الشريف

ألقاها داعي الدعاة مناظراً أبا العلاء المعري منذ ألف عام

لحضرة الأستاذ محمد حسن الأعظمي
عميد كلية اللغة العربية
بكراتشي — الباكستان

إن المتتبع لتاريخ الفاطميين لتبهره من بين الشخصيات الكبرى تلك العبقرية الفذة، التي تصور لنا المؤيد الشيرازي داعي دعاة الفاطميين. فنحن أمام رجل أقام أكثر حياته، وأنفق زهرة شبابه بإيران. فإذا بذلك الرجل نفسه يكتب بالعربية: كأحسن ما جادت به قرائح أبنائها: من أدب راق، وبيان ساحر، وأسلوب ممتع.

لقد حلّق الشيرازي في أفق سام من البلاغة، ولم ينحدر عن ذلك الأفق، ولم نر له كبوة تعثر فيها جواد قلمه، بل رأيناه في كل مواقفه، قوي المراس شديد النضال، ووجدناه في كل مناظراته سليم الحجة يأخذ أفواه الطريق على خصومه فلا يترك لهم فجوة يتخلصون منها. وتجولنا معه في سيرته التي كتبها، فلمسنا فيه الجرأة والعزيمة والنفس القوية وأنه ليغشى مجالس الملوك والوزراء فلا تبدو منه رعشة التهيب ولا استسلام الرجل. ثم تغرب عن دياره فما راعته الغربة ولا أسلمته إلى سكينة وخشوع. وألقى محاضراته بالأزهر ودار الحكمة وسجلها فوصلت إلينا بعد أن خلصت من عبث العصور المتقلبة، فإذا بنا نسمع في لغة الشيرازي بيان أبرع الكتاب في بغداد والأندلس. وقبل أن نقدم للقارىء نموذجا من محاضراته التي تبلغ ثمانمائة، نحب ألا يفوتنا تقديمه شاعراً، ولكن لا يسعنا اليوم الخوض في شعره وقصائده، فإن له ديوانا يأتي الكلام عنه في فرصة أخرى، ونحن نجتزىء ببضعة أبيات بعث بها إلى الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، لما عمل

مكتبتنا العربية

بعض الحساد على احتجاب الخليفة عنه أثناء قدومه إلى مصر ، وإجابة المستنصر بالله الخليفة الفاطمى بضعف عدد أبياته ، وإجابة المستنصر بخطه على هذه الصورة فتبين لنا ما كان يتمتع به الشيرازى من المنزلة العالية والقدر الرفيع . وإليك الأبيات وجوابها .

كتب المؤيد الشيرازى :

أقسم لو أنك توجتنى ... بتاج كسرى ملك المشرق
وأنلتنى (١) كل أمور الورى ... من قد مضى منهم ومن قد بقى
وقلت أن لا نلتقى ساعة ... أجبت يامولاى أن نلتقى
لأن إبعادك لى ساعة ... شيب فودىَّ مع المفرق

فأجاب المستنصر بالله بخطه :

ياحجة مشهورة فى الورى ... وطود علم أعجز المرتقى
ما غلقت دونك أبوابنا ... إلا لأمر مؤلم مقلق
ولا حجبناك ملالا لافتق ... بودنا وارجع إلى الأليق
خفنا على قلبك من سمعه ... فصدَّنا صدّ أب مشفق
شيعتنا قد عدموا رشدهم ... فى الغرب ياصاح وفى المشرق
فانشر لهم ما شئت من علمنا ... وكن لهم كالوالد المشفق
إن كنت فى دعوتنا آخراً ... فقد تجاوزت مدى السبق
مثلك لا يوجد فيمن مضى ... من سائر الناس ولا من بقى

أما محاضراته فإننا سنقدم منها المحاضرة الأولى بنصها ، وكذلك بعض المحاضرات الأخرى بعد حذف مقدمة الحمد والثناء ومنها نتبين كيف كان اعتداد الرجل بقيمة العقل ، كما نستدل على أن هذا المذهب لايعترف بوجود الاستعارات والمجازات فى القرآن . وقد أثيرت هذه المسألة فى عصور مختلفة تناولها أصحاب المطولات فى علوم البلاغة والبيان ؛ وليس مقصدنا من نشر هذه المحاضرات إلا تقديم أمثلة للأدب والعلم فى عصر من العصور التاريخية فى مصر ، ويحسن بنا قبل

(١) فى النسخة الخطية « ونلتنى »

ذلك التنويه ، بأن للشيرازى مؤلفات أخرى عدا سيرته وديوانه ومحاضراته ، منها : كتاب الابتداء والانتهاء ، وكتاب المسألة والجواب ، وكتاب نهج العبادة ، وشرح المعاد ، والمسائل السبعون ، ونهج الهداية للمهتدين ، وأساس التأويل بالفارسية ، والسبح السبع ، والإيضاح والتبصير فى فضل يوم القدير - وتأويل الأرواح ، والمجالس المستنصرية . وقد لاحظنا أن هذه المحاضرات القصيرة ، إنما كانت ملخصاً لدروس طويلة فيما يظهر ؛ فلعله كان يكتبها بعد إلقاء الدرس وتفهيمه على سبيل التسجيل والحفظ ؛ لنكت هامة لينتفع القارىء ، كما استفاد السامع . ونرجو أن نوالى نشر أمثلة من محاضراته :

الحمد لله الذى نظم بين الانسان والبهائم أن خلقهم من طين ، ثم جعل نسلهما من ماء مهين ، ثم اقتضت العناية الإلهية أن رمى فى أخلاط الصورة الإنسانية من إكسير العقل بلغة أهل صنعة الكيمياء ، ما عرج به أعلا المعارج من الفضل والعلياء ، فصار ممن قال الله سبحانه فيه - ومن أصدق منه قيلا - « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » ، فاستنزل بتدبيره الطير من الهواء واستخلص الحدث من لج الماء واستعبد أجناس الحيوان طيراً وبهائم وسباعا ، فنها ما انتفع بلحومها ، ومنها ما استمتع بجلودها وأصوافها وأوبارها استمتاعا ، وجعل الفلك المحيط على عظم فضائه محصورا فى سرادق فكره ، بدل كون جسمه بالكون والفساد محصورا فى سرادق ملكته وأسره ، فهذا منفوعه الذى نفعه الله به فى الدار الأولى ، ثم جعله سلما يرتقى به الى دائم البقاء فى الدار الآخرى ، فلولا نور استبصاره بالعقل ، لما كانت رسالة عن مرسل تقبل ، ولا أمر عن مرسل يؤخذ ويتحمل ، ولا نفس بمعرفة توحيد الله سبحانه ترتسم وتنير ، ولا لسان بمعارف الآخرة بين اللهوات يدور . وصلى الله على محمد خير رسول ؛ استنار بنور سراجه ، وسار على واضح منهاجه ، وعلى وصيه الذى عرج به من أفق المجد إلى أعلا معراجه ، وعلى آله الداعين إلى عذب المشرب وفراته ، الناهين عن ملحه وأجاجه .

معشر المؤمنين : جعلكم الله ممن استنارت بنور العقل قلوبهم ، وتجافت عن مضاجع الجهل جنوبهم ، إن قوما من الآخذين الدين بالعادات ، والجارين فيه

مكتبتنا العربية

على آثار الوالدين والوالدات ، زعموا أن شرائع الأنبياء عليهم السلام التى هى أسباب النجاة ، والطريق إلى دائم الحياة على غير العقل موضوعها . وفى سوى موقعه وقوعها ، فلو أنهم أنعموا النظر ، وجردوا من شوب العصبية والهوى الفكرَ ، لعلموا أن أحدهم لو قيل له فى شىء من خاصة أعماله ، وما يصدر عنه من أقواله وأفعاله ، إن فعلك هذا على غير أساس العقل موضوعه ، ولا من مطالعه طلوعه ، لاشتشاط من ذلك غضبا ، ولقام له مكذبا ، وفى مثل هذه المواجهة مستذنبا ، فكيف يرضون للأنبياء الذين هم سادات دينهم ، والوسائط بينهم وبين ربهم ما لو قابلهم بمثله مقابل لكرهوه . أم كيف لايعتبرون أن الخطاب فى كتاب الله كله مع أولى الألباب بقول الله تعالى : « فاتقوا الله يا أولى الألباب » وقوله « إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب » وما يجرى مجراه مما كثر وتكرر ، وليس يخلو من كون هذه الأوضاع الشرعية ، ليس لها برهان من العقل عند الرسول عليه السلام ، الآتى بها نفسه أو كون البرهان عنده ، فلم يشعر به ، فإن كان لابرهان لها عنده فهو فحش ؛ فلو أن سائلا سأله عن العلة التى اقتضت أن يجعل الصلاة خمسا ، ولا يجعلها ستا ، فكان يقول لا أدرى ، لكفاه طعنا أن يأتى بشىء لايدرى العلة فيه إذا سئل عنها ، وان كان لها برهان عند نفسه عقلى ـ والبرهان مما يجمل الأقوال والأفعال ـ ثم لم يظهره فلم يقم إذن بحق البلاغ ، وهذا منتف عن الرسول عليه السلام ، لأنه بلغ وقال فى النادى : « اللهم اشهد انى بلغت » وسوى هذا فمعلوم أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكلف تكليف الشريعة إلا ذا عقل ، فكيف يكلف ذا عقل ما كان موضوعه على غير عقل ، لأن ما كان موضوعه على غير عقل ، فهو بغير ذى عقل أولى منه بذى عقل ، وما السبب فى تولية العقل أولا وعزله آخرا ؟ ولما لا تكون التولية آخرا ككونها أولا ، أو العزل أولا ككونه آخرا ؟ وهذا مما لا خفاء به على منصف .

والمعلوم أن الفلاسفة يدّعون العلوم العقلية والأمور الحقيقية ، وأن المسلمين يكفرونهم مع ذلك ، لانقطاعهم عن سبب الرسالة ، وقولهم أنهم غنوا عن الأنبياء فى معرفة معالم نجاتهم ، وأن الحاجة اليهم لسياسة أمور الدنيا فقط ، بتحصين الدماء والأموال ، ومنع القوى عن الضعيف . واعتقاد المحققين أن العلوم كلها التى منها

مكتبتنا العربية

العقليات التي يدعونها فى علوم الأنبياء اجتمعت، ومنها تشعبت وتفرعت، وتصديقهم قول الله سبحانه «ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين» وقوله جل جلاله «ما فرطنا فى الكتاب من شيء» فلو أن أحد الفلاسفة قدم على الرسول عليه الصلاة والسلام، يسأله عن الملائكة، والعرش، والكرسى، والجنة، والنار، وأوضاع شريعته: من صلاتها، وزكاتها، وصومها، وحجها، وجهادها، من حيث يدل عليه البرهان العقلى، أكان يقول النبي صلى الله عليه وسلم، لا قبل لى ببرهان ذلك! حاشا لله. وقول آخر مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه قال «أول ما خلق الله تعالى العقل، فقال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أجل منك، بك أثيب، وبك أعاقب» فإن كانت الشرائع على غير العقل موضوعها فلا ثواب لها، ولا عقاب على مقتضى الخبر «بك أثيب وبك أعاقب».

معشر المؤمنين: دعوا أهل الفرقة والخلاف، فإنهم أشياع غى بقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم «ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شيء». وتمسكوا فى دينكم بالأدلة، واعرفوا المواقيت بالأهلة، وأصلحوا أموالكم، وطهروا سرائركم، واحمدوا الله تعالى الذى فتح لكم الى الحقائق أبصارا والناس عنها عمون، وكشف لكم حجبا فأنتم فى رياضها تتنعمون، واجروا فى مضمار التائبين العابدين، واستشعروا شعار الراكعين الساجدين، وكونوا دعاة الى أئمتكم بحسن الأفعال صامتين، وقوموا أناء الليل قانتين. جعلكم الله من الذين اذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا، وأوزعكم شكر عارفيه، إذ ألف بين قلوبكم: فأصبحتم بنعمته اخوانا، والحمد لله القاهر سلطانه، الباهر برهانه، العظيم شأنه، الواسع احسانه، وصلى الله على محمد المنزل عليه فرقانه، المزلزل للشرك بنيانه، وعلى وصيه الذى هو مستودع علمه وترجمانه على بن أبى طالب بيده يد الحق، والناطق بلسانه لسانه، وعلى الأئمة من ذريته المحفوظة بهم حدود الدين وأركانه وسلم تسليما، وحسبنا الله ونعم الوكيل؟

مكتبتنا العربية

محمد رسول الله

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد العزيز السيد موسى

« محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا ، يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » .

تذكرت هذه الآية ، وما توحى به من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم . مع جماعة المؤمنين بأنهم أشداء أقوياء على عدوهم ، لايعرفون فى مغالبتهم هوادة ، ولا يتسرب الى قلوبهم من جراء ذلك رأفة ولا رحمة ، لأن ذلك هو الحق ، ولا تأخذهم فى الحق لومة لائم ، وأنهم فيما بينهم لايعرفون غير الرحمة بأكمل معناها وأجلى مظهرها ، وهى ضالتهم المنشودة وغايتهم المرجوة ، وأنهم لا يعرفون فتورا فى طاعة الله ، وتنفيذ أوامر ربهم الكريم وخالقهم العظيم ؛ يتمثل لك ذلك فى ركوعهم وسجودهم لله وحده ، وأنهم لا يقصدون من وراء ذلك غير الفضل والرضوان والرحمة والغفران ، وأنك تعرفهم من غير عناء ولا تعب ، تعرفهم بما وضع الله فى وجوههم من نور حباهم الله به من أثر السجود الذى كان لله خالصا . وفيهم يقول الله تعالى « يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ذلك هو الفوز العظيم » .

* * *

« لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم من أنفسهم رسولا ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » .

فهذه الآية الكريمة تصور لنا أنه مِنَّة من الله كريمة ، وعطية منه عظيمة ، وأشعرتنا بأنه من المؤمنين ، وأن المؤمنين منه ، وأنه جاء لهدايتهم وإرشادهم

مكتبتنا العربية

وإنقاذهم مما هم فيه من الشرك والوثنية « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

* * *

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

وهذه الآية تحدثنا بأنه مصدر الرأفة والرحمة لجماعة المؤمنين ، وأنه شديد الحرص على ما يهمهم ، وما يعنيهم وما يعود عليهم بالنفع العام ، ويعز عليه أن ينال أحداً من المؤمنين شيء من العنت وما يشق عليهم من العمل .

* * *

« يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيراً ، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ، ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم ، وتوكل على الله ، وكفى بالله وكيلا » .

وإن هذه الآية تعطيك صورة عن مقدار قربه من الله العلى القدير ، وأن الله يناديه بلقب يدل على سموه وعلو منزلته ، ويبين له مهمته التى أرسل لأجلها من الدعوة إلى الله والبشارة السارة التى يحملها لجماعة المؤمنين ، وأن يتجه فى مهمته اتجاها حقاً ، ولا يسمع لأعدائها قولا ، ولا يحفل بما يكيدون له من الأذى ، وعليه أن يترك الأمر لمولاه الذى أحاطه بعنايته الربانية . والله نعم الوكيل .

* * *

« قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا » .

وبهذه الآية تذكرت رسالته العامة ودعوته الشاملة ، وأنه أرسل إلى الناس كافة صلوات الله وسلامه عليه ، وأن الله اختصه بذلك عن جميع الرسل ، فإن الرسول كان يرسل إلى قومه خاصة ، وذلك فضل عظيم وامتياز خاص لم ينله أحد سواه . وحسبه قول الله له « وكان فضل الله عليك عظيما » . وكان صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » فلا رسالة بعد رسالته ، ولا نبوة بعد نبوته ، ولا هداية بعد هدايته ؟

ذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الأستاذ الشيخ المنشاوى عبود الخولى
المدرس بمعهد القاهرة

تعنى الأمم بتكريم عظمائها لأنهم أعلام هدايتها وبناة مجدها ومصدر عزها وهناءتها . وإذا نظرنا الى رسولنا الأعظم وجدناه فارس هذه الحلبة وسابقها المجلّى . فقد وصل الى غاية تقصر عنها الهمم ، وتنقطع دونها العزائم . فهو فى الإصلاح أرسخ قدما ، وأرفع شأناً ؛ وفى الهداية أنبل قصداً ، وأجل أثراً . وليس هديه مقصوراً على طائفة محدودة أو أمة معدودة ، بل أهداه إلى العالم بأسره ، وصار للإنسانية رُباناً ماهراً ، وقائداً حازما ، وراعياً رحيما ، وملاذاً حصيناً . فلم يكن فضله عليه السلام خاصاً بمن كملت آدميته باتباعه ، بل شمل أيضاً من حرم شرف الانتساب اليه . لذا كان الواجب أن يكون الاحتفال بمولده عالمياً ، يقف الكل فيه من واهب الجميل موقف الحمد والوفاء ، ما داموا قد عجزوا عن المكافأة والجزاء .

هو النبي الذى لولا هـدايته لكان أعلم من فى الأرض كالهَمَج

فليس المسلمون فى حاجة إلى أن يجهدوا أنفسهم فى الاستدلال على رسالة نبيهم ، بل عليهم أن يوجهوا الأذهان فقط الى ماتركه من الهدى القيم والأثر الخالد ، حيث خلص العالم من شر مستطير وضلال بعيد ، ونشر تعاليمه فى قوم متخاذلين متناحرين ، بأسهم بينهم شديد ، حجبت عنهم أنوار المعرفة ، وغابت شمس الهداية فجعل منهم فى أقل من ربع قرن دولة متينة متماسكة البناء ، مرهوبة السلطان ، وصار رجالها قادة العالم وسادة الشعوب ، وتنافس ملوك الأرض فى التزلف

مكتبتنا العربية

لحكامها ، ومنحها القرآن وسام الشرف والخلود حيث قال تنويهاً بشأنها : «كنتم خير أمة أخرجت للناس» .

إن هذا الانقلاب الفذ ، والتطور الاجتماعى الهائل لهو آية كبرى ، ومعجزة باهرة ، وما كان ليحدث فى عدة قرون لو اجتمع عليه فلاسفة العالم «ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً» .

تكفى نظرة عابرة للماضى القريب الذى سبق وجوده عليه السلام ؛ فقد كانت خريطة الدنيا مشوهة الصورة ، ممسوخة الخلق ، متباينة الوضع ، منطمسة المعالم ، وكان أهلها أجساماً دامية ، وأشلاء ممزقة ، وأشباحا بالية ، وأعجازاً خاوية ؛ قبض على ناصية الحكم بينهم دولتان غاشمتان : دولة الفرس ودولة الروم ، اغتصب ملوكهما سلطان العالم ، وقتلوا مشيئة الأمم ، وسلبوا إرادتها ، وسخروها فى أغراضهم الآثمة ، وشهواتهم الدافقة ، وفرضوا عليها من الضرائب ما أثقل كاهلها ، وجعلها ترسف فى أغلا الذل والاستعباد ، تئن فلا تجد سميعاً ، وتستصرخ فلا تلقى مغيثا ، وحجبوا عنها نور العلم مخافة أن يبصرها بحقوقها ، فتشتعل فيها نار الثورة على سادتها الذين لا يصفو عيشهم إلا بأن يتخبط أتباعهم فى ظلام دامس ، وجهالة عمياء ، وذلك شأن المستعمرين فى جميع الأزمنة .

وليت الوازع الدينى كان قائما حتى يحد من جبروت الطغاة ويرشد أولئك التعساء ، ولكن النصرانية فى ذلك العهد قد هان على الناس أمرها ، وتضاءل سلطانها ، وتحولت فى نفوس أصحابها إلى وثنية مرذولة هى أشبه ما تكون بالجاهلية الأولى ، فانتهكت الحرمات تحت ستارها ، وديست الأعراض بحجة الدفاع عنها ، وانحط البشر إلى هاوية صاروا فيها أخس من الأنعام ، فعبدوا غير خالقهم ، وقدسوا من الصور والرسوم ما تمجه الأذواق السليمة وتأباه الفطر الصافية .

برم الناس جميعا بقسوة الحياة ، وغلت مراجل الغيظ من فواجعها التى تخلع القلوب ، وتذيبها حسرة وكمدا ، فتاقوا إلى من يذهب عنهم رجسهم ، ويخلصهم من تلك الآصار التى قصمت ظهورهم ، وعطلت مواهبهم ، وجعلت عيشهم جحيما مستعرا ، وشقاء مقيما .

مكتبتنا العربية

استجاب الله تضرعهم ، ورحم ضعفهم ، وأسبغ نعمته عليهم بميلاد نبيه فى تلك الآونة العصيبة ، وتجلت قدرته فى خلقه ، فبعث نوره الباهر من بلد أطفئت فيه مصابيح العلم ، وغاضت ينابيع المعرفة ، واصطفاه طيب العنصر نقى الجوهر ، وزوده بالخلق الماجد والكمال الفائق ، حتى يستطيع القيام بتلك المهمة الخطيرة التى ندبه الإله لها ، وعلم أنه وحده الذى يحسن أداءها والوفاء بحقها ، وإنما اختار الله نبيه من تلك البيئة التى هى أبعد البيئات عن المدنية والحضارة ، ليكون ذلك معجزة كبرى ، وآية عظمى على صدق رسالته .

ولما بلغ أشده اصطفاه من يعلم حيث يجعل رسالته لزعامة العالم كله ، ونشر النور الإلهى بين أرجائه ، وبعث الحياة الماجدة فى عروقه ، ليسمو إلى الاتصال بخالقه ، ويصلح لعمارة الكون واستثمار ما أودعه الله فيه من هبات وأسرار . صدع الرسول بأمر ربه ودعا القوم إلى الاعتصام بحلال الإيمان ، ليتخلصوا من أرجاس الشرك وأدران الوثنية ، ويترفعوا عن دنس الخضوع لغير الله ، وينعموا بعزة الملوك وطهارة الملائكة ، وأقام على ذلك من الدلائل ما يتفق والفطرة البشرية : « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت » وأحالهم إلى ما ركز فى نفوسهم وما تدركه حواسهم . أصغى إليه أهل الحزم والرأى ، فبهرهم جلال حكمته ونفاذ عظته ، فأسرعوا إلى الانضواء تحت لوائه ، والتفانى فى سبيل نصرته ؛ وأما أهل الأهواء فأخلدوا إلى الأرض وجعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ، وسلطوا على النبى وأصحابه من صنوف الإيذاء ما تنفطر له القلوب وتخر الجبال هدا ، وجدوا فى إيقاظ الفتن حوله وتأليب العرب عليه وتنفير الناس من دعوته ووضع العقبات فى سبيلها ، وعاملوه مع أقاربه معاملة المنبوذين ، وحاصروهم حصارا اقتصاديا كما يفعل اليوم فى عصر هذه المدنية العاتية الطائشة .

أرجأ الرسول أمر هؤلاء الغافلين وانتقل بالدعوة إلى محيط أكثر اتساعا وأجل إنتاجا ، فأينع ثمر الإسلام ونما حزبه ، وانهارت جعجعة الباطل وارتفع صوت الحق ، فأصبح يدوى فى الآفاق يوقظ راكد الشعور ويحيى ميت الهمم . فرح المؤمنون بنصر الله وعمرت محبته قلوبهم ، فسخروا جوارحهم فى مرضاته وصار

مكتبتنا العربية

هواهم تبعاً لما جاء به نبيهم ، فتمنوا حياة كريمة يستمتعون فيها بعزة الإيمان ، ويخضعون لسلطان الدين ، فولى الرسول وجهه شطر المجتمع ، وأسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان ، وصد عنه الأيدى الأثيمة التى تعبث بجماله ، وحطم معاول الهدم التى تقوض أركانه ، ونصب فيه ميزان العدالة ، وأعلنه قاعدة المساواة بين الأفراد ، فئل عروش الطغاة الذين كانوا يستغلون الضعفاء اعتماداً على شرف زائف وجاه موهوم . وعنى بمقومات المدنية الصالحة ؛ فبعث روح النهضة قويا جباراً قد اتسع أفقه ، وتنوعت مظاهره ، وانتظم جميع شئون الحياة ، ولم يمض غير قليل ، حتى أصبحت للمسلمين دولة فتية قاهرة ، تخشع لهيبتها الجبابرة ، وترهب سطوتها القياصرة والأكاسرة « ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز »

هذا هو رسولنا الأكرم ، الذى كان أملا باسما للوجود كله ، فملأه حكمة ورشدا وفضلا ونبلا ، وهؤلاء صحابته الأمجاد الذين كانوا جنود الحق ، فسعد العالم بعزهم ، وسجل لهم التاريخ أروع صفحات البطولة والإقدام . وهذا ماضينا الذى نباهى به الأمم فيغشاها جلاله ، ويبهرها نوره فتقف منه موقف الإعجاب والإكبار .

وما أحوجنا إلى أن نذكر ذلك كله فى تلك الظروف العصيبة ، فنعتصم بحبل الله ، ونستمسك بهدى الرسول ، وتجتمع قلوبنا فنسعى جاهدين فى إرجاع سالف عزنا وغابر مجدنا ، ونكون جبهة قوية أمام أعداء العروبة والإسلام الذين يحاولون بين آن وآخر أن يوهنوا من عزمنا ، ويفتوا فى عضدنا ، ويفتحوا ثغرة بين صفوفنا لينفذوا منها حيث يشاءون .

والله المسئول أن يجمع الشمل ، ويرأب الصدع ، ويمدنا بروح من عنده ، إنه نعم المولى ونعم النصير ؟

الحسن لا يترك

خرج الحسن البصرى وسعيد بن جبير يشيعان جنازة ، فسمع سعيد أصوات النوائح ، فهم بالانصراف إنكاراً لهذا المنكر . فقال له الحسن : إن كنت كلما رأيت قبيحاً تركت له حسنا ، أسرع ذلك فى دينك .

عجالات فى أدب الدين :

أدب الحديث

لفضيلة الأستاذ الشيخ كامل عجلان
المدرس بالأزهر

من حديث أبى هريرة فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت » . وأخرج الطبرانى عن أنس رضوان الله عليه أن النبى صلوات الله عليه قال « لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يخزن لسانه » . وأخرج ابن أبى الدنيا عن عمرو بن دينار أن رجلا تكلم عند رسول الله فأكثر الكلام فقال له « كم دون لسانك من حجاب ؟ قال : شفتاى وأسنانى ، فقال : أما كان فى ذلك ما يرد كلامك » ! .

ما جعل الدين على الناس من حرج فى الكلام الخير والحديث المجدى ، مادام فى موضعه وعلى سنن الأدب وطريق الاعتدال . لايخالط بالهزر أو يفسد بالزور ، أو يجر الى ضرر ، أو يشيع الفساد ، أو يؤذى غائبا أو حاضرا . ولكن أناسا وسعوا لأنفسهم فى خلابة القول ، وأطلقوا ألسنتهم بمحرف الكلم ، وراحوا يزوقون ويشيعون المغرى من الأخبار طمعا فى أن يحمدوا بما لايحمد عند العقلاء : فإذا لقيك أحد منهم أو نزل فى مجلس ، اندفع الحديث من فمه وتهدر من أشداقه فى استخفاف يزرى وإطالة تمل وهذر يقضى على جمال اللقاء ويزهق روح الاجتماع بما يحتطب من قول وما يزين من أخبار ، حتى إذا قرأ فى وجهك استنكار الغرابة فى قوله ، أو استحالته أو بعده عن الواقع ، أقسم بالله جهد أيمانه ليستهوى التفاتك ويوقظ انتباهك ويقول ويطيل ، وقد يعجبك قوله ، فإذا تولى سعى فى حديث آخر وأخرجه على لون ثان فى طراوة

مكتبتنا العربية

جذابة ، ونفذ به إلى المسامع والمجالس بين الأفراد والجماعات ، وهو لا يرتد عن الثرثرة ، سواء فى الطريق أو المقهى أو الترام أو البيت أو العمل ، مع من يعرف ومن لا يعرف ، ينساق فى فضوله لا يفرق بين سامع وسامع ولا بين مكان ومكان ، ومن الناس من يتفاصح ومنهم من يتعالم ويرضى حاجة نفسه من الثرثرة والتشادق والتغرير بالسامع ، وليكن من أشد الناس مقتاً فى نظر الرسول صلى الله عليه وسلم وهو القائل فيه « أبغضكم إلى الثرثارون المتفيهقون » أى المتكلفون . ولقد حذرهم وحذرنا منهم فقال « إياى والتشادق » .

ومن ذا الذى لا يضيق بمن ينطلق فى كلامه يطمعه تكلف الإصغاء ولا يصده الانصراف ، بل يغالب ولا يدع لك أن تفهمه أو تفهم عنه ، لا يقبل إلا أن يقول فتسمع وإن كان حديثه هراء لا غناء فيه ، فإذا حاولت أن تصرفه أو تسأل غيره ممن يجالسك اقتحم سور الأدب وأجاب غير متحرز عن الزلل ولا خائف سقطات اللسان يجادل بعلم وبغير علم ، ويمارى فى الحق وبالباطل ، ويحاول الظفر بمهوى الأنظار .

وبهذا وأمثاله كثر فى مجالسنا لغو القول ، وسيطر المزاح الشاق واللهو المنحرف ، وراجت الشائعات ، وقل أن يخلو مجتمع من التهاتر والتنابز وتطيير البهتان ، مما يعقب الضرر والخصومات ، لأن الألسنة لا تخزن ، ومعابير الكلام طائشة .

وخير الكلام ما قل وهدف الى غرض نافع ، فحرص على الصدق ، ورام أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر ، وكان مساجلة بين المتكلم والواعى ، على أن يتباعدا عن هجر الكلام ، وقبيح الألفاظ ، وسفساف الأخبار ، ومنحرف الآراء . والخير كل الخير فى أن يعقل المرء لسانه ، إلا عن حق يوضحه ، أو باطل يدحضه ، أو حكمة ينشرها ، أو نعمة يذكرها ، وأن يحفظ القول إلا لداع يجعل الحديث فى موضعه وحين فرصته ، وإلا كان الصمت ألزم ، والسكوت أجدى وأنفع ، وبذلك يكسب الإنسان صفو المحبة ، ويأمن سوء المغبة ، ويلبس ثوب الوقار ، ويكفى مؤنة الاعتذار . وصدق رسول الله إذ قال : « يامعاذ : أنت سالم ما سكت ، فإذا تكلمت فعليك أولك » .

وإلى المستمع جميل المأثور « لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام رجع إلى قلبه ، فإن كان له تكلم وإن كان عليه أمسك ، وقلب الجاهل من وراء لسانه يتكلم بكل ما عرض له . . . » . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعمه العباس « يعجبني جمالك . قال : وما جمال الرجل يا رسول الله ؟ قال لسانك » .

* * *

فإلى الذين يحرفون الكلم عن موضعه ، وإلى الذين يقولون مالا يفعلون ، ويعدون ولا يفون ، ويمنون ولا ينجحون ، ويسرفون على أنفسهم والمستمع اليهم فى الأقوال بما يعلمون ومالا يعلمون . ويمهرون فى ترويج الشائعات ، ويقطعون الليل والنهار فى القيل والقال ، ويؤذون المؤمنين والمؤمنات فى أحاديثهم ، ويهمزون ويلمزون ، ويمشون بالغيبة والنميمة ، ويفترون على الناس زور القول - إلى هؤلاء نسوق قول المولى « وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون » وقوله : « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » وقوله : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا » وقول الله « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة » .

وعلى الذين يستمعون إلى من يغفلون عن أدب الحديث أن يصموا آذانهم ، حتى لا يقعوا فى الإثم بالاستماع إلى كل هماز مشاء بنميم .

ورحم الله من أخذ نفسه بأدب الدين ، وعقد لسانه إلا فى مواطن الخير ، حتى لا يتردى فى بلاء المنطق ، وصدق الله « إليه يصعد الكلم الطيب » .

منطق رسول الله

قال الجاحظ يصف منطق رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« هو الكلام الذى قل عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصنعة ، ونزه عن التكلف ، لم ينطق إلا عن ميزان حكمة ، ولم يتكلم إلا بالكلام قد حف بالعصمة ، وشد بالتأييد ، ويسّر بالتوفيق .

مكتبتنا العربية

الإسلام في سيراليون (*)

لحضرة الأستاذ عمر طلعت زهران
أستاذ في الآداب والصحافة

من حديث ألقاه السيد « م . س . مصطفى » في اجتماع كبير عقد احتفالا بمولد الرسول عليه السلام في مساء اليوم الثامن من شهر فبراير سنة ١٩٤٧ ، ونشرته مجلة « المفكر الجديد » لسان حال جمعية شباب الهلال : م : ٢ ، ع . ٤ مارس أبريل سنة ١٩٤٧ .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

إن السر في تقدم الجماعات إنما يكمن في صلتها بتاريخها ، فالجماعة التي تجهل تاريخها ليس لها غرض تسعى إليه ، وروح الإحياء والنهضة فيها ضعيفة ؛ ولهذا سأسرد تاريخ الإسلام في سيراليون ، وهو تاريخ يشمل فترة من الزمان تزيد عن مائة وخمسين عاما :

(*) سيراليون مستعمرة بريطانية بين غينيا الفرنسية وجمهورية ليبريا ، تقع على خط العرض الثامن شمال خط الاستواء في غرب أفريقية ، سكانها حوالى ثلاثة ملايين نسمة معظمهم من المسلمين .

وإن تاريخ الاسلام بها لقصة خالدة لنضال مجيد ، يعيد الى الأذهان تاريخ الأديان كلها . وهذا التاريخ فوق ذلك كله صرخة مدوية لقوم لم يهنوا أو يضعفوا بل ثبتوا وقاوموا ، فانتصروا ، وولوا وجوههم قبل الأمم الاسلامية .

وإن مصر أم الثقافة ، وأزهرها حصن الدين وسياج الايمان ومعقل الاسلام والمسلمين ، التي يتربع على عرشها الفاروق المظيم ، لأولى البلاد بأن تمد يدها ، وأن تضيء بنور علمها ظلامات الجهل هناك .

كان العرب منذ أقدم العصور من أعظم تجار البحار ، وقد فتحوا الطريق إلى أفريقيا فى أواخر القرن السابع ، حينما غزوا شمالها ، ثم امتد نفوذهم مع تجارتهم ورسالتهم التبشيرية عبر الصحارى ، وعلى طول الساحل الغربى لأفريقيا ، وما حل القرن الثانى عشر حتى اعتنق الشعب « الفولانى » — الكبير العدد ، والقاطن على أعلى نهر النيجر — الدين الا[illegible]

وإلى المستمع جميل المأثور « لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام رجع إلى قلبه ، فإن كان له تكلم وإن كان عليه أمسك ، وقلب الجاهل من وراء لسانه يتكلم بكل ما عرض له . . . » . وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعمه العباس « يعجبنى جمالك . قال : وما جمال الرجل يا رسول الله ؟ قال لسانك » .

* * *

فإلى الذين يحرفون الكلم عن موضعه ، وإلى الذين يقولون مالا يفعلون ، ويعدون ولا يفون ، ويمنون ولا ينجحون ، ويسرفون على أنفسهم والمستمع اليهم فى الأقوال بما يعلمون ومالا يعلمون ، ويمهرون فى ترويج الشائعات ، ويقطعون الليل والنهار فى القيل والقال ، ويؤذون المؤمنين والمؤمنات فى أحاديثهم ، ويهمزون ويلمزون ، ويمشون بالغيبة والنميمة ، ويفترون على الناس زور القول — إلى هؤلاء نسوق قول المولى « وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون » ، وقوله : « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » ، وقوله : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا » ، وقول الله « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة » .

وعلى الذين يستمعون إلى من يغفلون عن أدب الحديث أن يصموا آذانهم ، حتى لا يقعوا فى الإثم بالاستماع إلى كل هماز مشاء بنميم .

ورحم الله من أخذ نفسه بأدب الدين ، وعقد لسانه إلا فى مواطن الخير ، حتى لا يتردى فى بلاء المنطق ، وصدق الله « إليه يصعد الكلم الطيب » .

مكتبتنا العربية

الموقعين على المعاهدة رقم ١ بتاريخ ٢٢ أغسطس سنة ١٧٨٨ كان اسمه « دودر » من المستعمرة ، وهو اسم محرف عن الاسم الإسلامى « داود » . وإذا ما عرفنا أن النظامية المسيحية [١] قد دخلت المستعمرة عام ١٧٩٢ على أيدى بعض النازحين من نوفاسكوتشيا [٢] ، فإنه يتضح أشد الوضوح أن الإسلام قد جاء إلى سيراليون قبل أى دين آخر غيره .

فإذا رجعنا إلى تاريخ المستعمرة ثانية ، رأينا أن من بين الأسرى الذين أخذوا من سفن العبيد ـ التى اعتقلت فى عرض البحار منذ ١٨١٠ وما بعدها ـ رجالا ونساء مسلمين من قبيلة « يوروبا » كانوا يودون استيطان سيراليون . ووجد المستوطنون المسلمون الجدد أنه يصعب عليهم أن يعيشوا بين المارون والنوفاسكتشيين ؛ إذ إن هؤلاء كانوا يحتقرونهم .

واضطر المسلمون إلى الهجرة إلى حدود بلدة فرى تاون [المدينة الحرة] الغربية ، والتى يفصلها عنها نهر نيقولا ، وهكذا نشأت ضاحيتا « فورا باى » و « فولا » ، وصارتا من أهم مراكز المستوطنين المسلمين ، وبنى هؤلاء فيها مساجد مؤقتة ، ثم انضم إليهم معتنقون جدد للإسلام ـ من القرى المجاورة ـ وانتشر الإسلام وذاع بسرعة جعلت ممثلى الجمعية المسيحية الكنسية يتقدمون فى يونية سنة ١٨٣٩ إلى الحكومة شاكين سرعة انتشار الإسلام بين سكان المستعمرة الأفريقيين المحررين ، فرفع حاكم المستعمرة « دورتى » الأمر إلى وزير المستعمرات وكتب إليه يقول :

« إن المتحولين [يريد المسلمين] قد ثبتوا أقدامهم فى ضواحى فرى تاون الشمالية الشرقية وعلى الأخص فى مكانين هما « فورا باى » و « فولا » وأقاموا فيهما مسجدين كبيرين مرموقين . . . »

---

(١) Methodism فرقة مسيحية أنشأها جون وزلى (١٧٢٩ فى أكسفورد) تمتاز بصرامة النظام فيها والمراعاة الدقيقة للقواعد الأخلاقية .

(٢) اسكتلندا الجديدة : مقاطعة فى كندا .

ولما كنا ننادى - الآن وفى هذا القرن العشرين - بالتعاون والتفاهم بيننا وبين أصدقائنا المسيحيين ، فى سبيل تقدمنا ومنفعتنا المشتركة ، فلست أرى من الملائم أن أذكر بقية كتاب الحاكم « دورتى » إلى وزير المستعمرات ، ويكفى أن أقول إن ما أوصى به « دورتى » الوزيرَ من إخراج المسلمين جميعاً من المستعمرة إلى مكان سحيق ، قد ووفق عليه . وجمع الحاكم « دورتى » هؤلاء المؤمنين فى قلعة ثورنتون ثم أنبأهم بمشروعه ، فرحبوا بما قال ، معلنين أنهم يفضلون النفى على أن يرتدوا عن دينهم ! . ومنحهم الحاكم مهلة قدرها ثلاثة أشهر يزيلون فيها ممتلكاتهم وينقلونها . ولكن : « يريدون ليطفئوا نورالله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » فقد نقل دورتى قبل أن تنتهى المهلة . وجاء غيره ، فنظر للمسألة كلها نظرة جديدة ، وسحبت وزارة المستعمرات اقتراح دورتى ، فكان فى ذلك خزى منظمى هذا المشروع وإخفاق تدبيرهم .

وقبيل هذا الحادث حُرق مسجد فى « فورابای » وهدم آخر فى « فولا » وسجن الآباء المسلمون لدعوتهم المؤمنين إلى الصلاة ، فهاجر بعض السكان حوالى عام ١٨٤٣ الى أبردين .

وعلى الرغم من هذا الاضطهاد كله ، فقد سار الإسلام حثيثا نحو التقدم والانتشار فى المستعمرة ، واستطاع أتباعه أن يبنوا مساجد ومدارس دائمة ، هى تلك التى ينعمون بها الآن . وهكذا نرى أنه بينما كان المستوطنون اليوربيون المسلمون يبذلون جهدهم فى سبيل كسب مسلمين جدد ، كان الفولانيون والماندجيون يهدون المحمية إلى الدين الحق .

ورأى الآباء المسلمون — حوالى عام ١٨٤١ ، فى فورابای وفولا — أن يرسلوا أبناءهم إلى دنجراية فى فوتا ليحصلوا على ثقافة أعلى فى اللغة العربية والشريعة والأصول الإسلامية .

وإن هذا النجاح العجيب ، الذى حققه هؤلاء المسلمون الأوائل إنما يرجع — كلية — إلى التضحيات العظيمة التى بذلوها ، فقد ضحوا بالراحة والثروة والجاه ليقوم الإسلام على أساس متين فى هذه البلاد .

مكتبتنا العربية

لقد جاء الإسلام حقا إلى سيراليون قبل أن تجىء المسيحية ، ولكن المسلمين لم يصلوا إلى ما تهدف إليه المثل الإسلامية علمياً أو اجتماعيا أو سياسيا ، وعلينا نحن أن نقوم بنصيبنا الكامل فى النضال فى سبيل نشر التعليم الإسلامى الملائم لنا .

إننا فى حاجة ملحة شديدة إلى تعلم اللغة العربية والثقافة الإسلامية ؛ إذ لن نكون دونهما مسلمين صادقين ، ويجب على كل مسلم أن يبذل ما يستطيع — أدبيا وماديا — فى سبيل رفعة الإسلام فى سيراليون حتى نجعل « تاريخ الإسلام فى سيراليون » إرثا كبيراً للأجيال القادمة .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

فضل الأدب

قال شبيب بن شبة : اطلبوا الأدب فإنه مادة للعقل ، ودليل على المروءة ، وصاحب فى الغربة ، ومؤنس فى الوحشة ، وصلة فى المجالس .

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : عليكم بطلب الأدب ؛ فإنكم إن احتجتم إليه كان لكم مالا ، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالا .

وقال بعض الحكماء : اعلم أن جاها بالمال إنما يصحبك ما صحبك المال ، وجاها بالأدب غير زائل عنك .

مكتبتنا العربية

في قصر الرشيد

لحضرة الأستاذ حسن خطاب الوكيل

بيّنا فيما مضى كيف كانت سيرة الرشيد فى ندمائه، وكيف أنها انتهت بالصلح بين أخيه إبراهيم المهدى وبين إسحاق الموصلى. فإنه لما قام إسحاق وقبل رأس إبراهيم المهدى ترضية له فيما فرط منه، التفت الرشيد إلى إسحاق وطلب منه الغناء تيمنا بالصفاء، فقال يا إسحاق غننا:

قل لمن صد عاتبا ونأى عنك جانبا
قد بلغت الذى أردت وإن كنت لاعبا

* * *

هل إلى نظرة إليك سبيل يروى منها الصدى ويشفى العليل
إن ما قل منك يكثر عندى وكثير ممن تحب قليل

* * *

وآمرة بالبخل قلت لها اقصرى فذلك شىء ما إليه سبيل
أرى الناس خلان الكرام ولا أرى بخيلا له حتى الممات خليل
وإنى رأيت البخل يذرى بأهله فأكرمت نفسى أن يقال بخيل
فعالى فعال المكثرين تجملا ومالى كما قد تعلمين قليل
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ورأى أمير المؤمنين جميل

* * *

فلما سمع الرشيد ما نوه له إسحاق فيما غناه ابتسم وقال: لاتخف إن شاء الله، لله در أبيات تأتينا بها، ما أشد أصولها، وأحسن فصولها، وأقل فضولها. ثم نادى ياغلام أعطه خمسين ألف درهم. فسر إسحاق بمدح الرشيد لغنائه وحسن عطائه

مكتبتنا العربية

فقال — وصفك يا أمير المؤمنين لشعرى أحسن منه ، فعلام آخذ الجائزة . فضحك الرشيد ضحكا عاليا ثم قال اجعلوها لهذا مائة ألف درهم . فانطلق إسحاق في الغناء فغنى بيتا من الشعر سبق أن غناه أبوه إبراهيم الموصلي وطرب منه الرشيد وأجازه عليه :

سلى هل قلانى من عشير صحبته وهل ذم رحلى فى الرفاق رفيق

فطرب منه الرشيد واستعاده ثم قال : يا إسحاق كأنى فى نفسك وقد ذكرت حديث أبيك ، وإنى أعطيته ألف دينار على هذا الصوت فطمعت أنت فى الجائزة .

فأجابه إسحاق : والله ياسيدى ما أخطأت مافى نفسى . فأجابه الرشيد : قد أخذ أبوك ثمنه مرة فلا تطمع . فقال إسحاق : ياسيدى أخذ أبى منك أكثر من مائة ألف دينار ، ما رأيتك ذكرت منها غير هذا لضعف حظى . فاستغرب الرشيد ما سمع من إسحاق ، فقال : ويحك أكثر من مائة ألف دينار ! فقال إسحاق : إى والله . فصمت الرشيد لحظة ثم قال : أستغفر الله من ذلك . فما خلف منها ؟ فقال إسحاق خلف على خمسة آلاف دينار دينا عليه قضيتها عنه . فقال الرشيد : ما أدرى أينا أشد تفريطاً وتضييعاً ، والله المستعان .

وبينا الرشيد فى مجلسه هذا إذا بالبريد يحمل اليه خطابا من سجين له شأن فى الدولة وقد طال سجنه ، فإذا فى الخطاب — إلى أمير المؤمنين من محمد بن الليث : ياأمير المؤمنين إن يحيى بن خالد وابنه لا يغنيان عنك من الله شيئا ، وقد جعلتهما يا أمير المؤمنين فيما بينك وبين الله ، فكيف أنت إذا أوقفت بين يديه وسألك عما عملت فى عباده وبلاده ، فقلت يارب إنى استكفيت يحيى أمور عبادك ؟ أتراك تحتج بحجة يرضى بها الله ؟ .

فأرسل الرشيد فى طلب يحيى بن خالد ، فلما حضر سأله الرشيد : أتعرف محمد ابن الليث ؟ فأجاب يحيى : نعم أعرفه . فقال له الرشيد : أى الرجال هو ؟ فأحس يحيى بأن تحقيقا يجرى : فقال : هو متهم على الإسلام . فقال له الرشيد : شددوا عليه فى السجن . ولم يلبث الرشيد أن طلب محمد بن الليث ، فلما مثل بين يديه قال له : أتحبنى يا محمد ؟ فقال له : لا والله يا أمير المؤمنين . فقال له الرشيد : وتقول لى هذا ؟ فأجابه ابن الليث : نعم وضعت فى رجلى الأكبال ، وحلت بينى وبين

مكتبتنا العربية ،

العيال ، بلا ذنب أتيت ، ولا حدث أحدثت ، سوى قول حاسد يكيد للإسلام وأهله ، ويحب الإلحـــاد وأهله ، فكيف أحبك ؟ فلما رأى الرشيد صدقه وصراحته قال : حلوا عنه الأغلال ، فأطلقوا سراحه ، ثم سأله مرة أخرى : أتحبني يا محمد الآن ؟ فأجابه ابن الليث : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكن قد ذهب ما في قلبي . فرقّ له الرشيد ، ومنحه مائة ألف درهم ، فلما أحضرت عاد إلى سؤاله : أتحبني يا محمد ؟ فأجابه : أما الآن فنعم ، قد أنعمت عليّ وأحسنت إليّ . فطابت نفس الرشيد وقال : انتقم الله لك ممن ظلمك ، وأخذ لك بحقك ممن بغى عليك .

وبينما الحال على هذا ، إذ دخل أحد الحراس يطلب إذنا بدخول العباس ابن محمد ، فأذن له . فلما سلم بالخلافة إذا وراءه خادم له يحمل غالية (إناء من فضة به عنبر ومسك) هدية للخليفة . ثم تقدم بالكلام فقال : يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك ، جئتك بغالية ليس لأحد مثلها : أما عنبرها فمن عنبر بحر عدن ؛ وأما بانها فمن عند العطار المدني المعروف بجودة عمله ؛ وأما مركبها فإنسان بالبصرة عالم بتأليفها ، حاذق بتركيبها : زد على ذلك المسك والزعفران . فإن رأى أمير المؤمنين أن يمنّ عليّ بقبولها فعل .

هنالك التفت الرشيد إلى خاقان خادمه وقال : يا خاقان اكشف لنا عن هذه الغالية . فإذا هي برنية من فضة وبها ملعقة قد غرست في المسك والعنبر وما الى ذلك من أجزاء الطيب .

ولما كان ابن أبي مريم مضحك الخليفة لا يفارق قصر الرشيد ، وكان حاضر الهدية ومهديها ، وقد ساءه ما سمع من المدح والإطناب في وصفها ، قال للرشيد : هبها لي يا أمير المؤمنين ، فقال له الرشيد : هي لك ، فغاظ ذلك العباس بن محمد ، وحقد على ابن أبي مريم ، وقال له ! ويلك عمدت إلى شيء ثمين منعته نفسي ، وآثرت به سيدي فتأخذه أنت ! فأجابه ابن أبي مريم ستترى أن لا يدهن بها إلا أنا ، وجعل يأخذ ما تصل اليه يده ، ويدلك بها أطرافه ووجهه . فلما رأى الرشيد فعله ضحك ضحكا عاليا ، وكذا الحراس ، وكان كل من لا يملك ضبط نفسه يولي هاربا ، ثم التفت ابن أبي مريم الى العباس بن محمد وقال له : أنت شيخ أحمق ، تجيء الى أمير المؤمنين وتمدح عنده غالية ؟ فما كان من العباس بن محمد إلا أن استأذن وخرج .

مكتبتنا العربية

فهرس

الجزء الثالث — المجلد الحادى والعشرون

الموضوع	بقلم	صفحة
أحاديث الأستاذ الأكبر ...	... ...	١٩٣
صفة رسول الله فى التوراة ...	« فضيلة الأستاذ الشيخ فكرى ياسين	٢٠٢
عبدة الأهواء	« « « محمد المدنى	٢٠٨
فى العدل والجور	« « « محمود النواوى ...	٢١٢
لا تعارض فى آيات الكتاب الكريم	« « « الطيب حسن الجمل	٢١٨
مفردات فلسفية ـ حرية ...	« « « الدكتور محمد يوسف موسى	٢٢٣
نظام الأسرة	« « « الشيخ ابراهيم أبو الحشب	٢٢٧
أعلام الأزهر ـ الحلباوى ...	« « « محمد كامل الفقى ...	٢٣٠
العز بن عبد السلام	« « « على حسن العمارى ...	٢٣٦
أهداف الحرب فى الإسلام ...	« حضرة الأستاذ عبد المنعم الصاوى ...	٢٤١
الحكماء السبعة	« « « الدكتور احمد فؤاد الاهوانى	٢٤٥
جولة فى ملكوت الله	« « « الشيخ محمود جميلة ...	٢٤٩
الدنيا والدين	« « « محمد عبد التواب	٢٥٣
ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم ...	« « « محمد عبد المنعم خفاجى	٢٥٦
قوانين الفكر الضرورية ...	« « « سعيد زايد	٢٦١
المحاضرات فى الأزهر الشريف	« « حسن الأعظمى	٢٦٧
محمد رسول الله	« فضيلة الشيخ عبد العزيز السيد موسى	٢٧٢
ذكرى ميلاد الرسول	« « « المنشاوى الخولى ...	٢٧٤
أدب الحديث	« « الأستاذ كامل عجلان	٢٧٨
الإسلام فى سيراليون	« « « عمر طلعت زهران	٢٨١
فى قصر الرشيد	« « « حسن خطاب الوكيل	٢٨٦